السِّت

سمر نور

رواية

دار العين للنشر

الأعمال الكاملة

t.me/kotbhm

السِّت

رواية

سمر نور

دار العين للنشر

أطل عليه من الدور الرابع بالمول الضخم. أراه كنقطة ثابتة، مهملة، وضائعة فوق جزيرة صغيرة في وسط محيط شاسع. الرجل العجوز الذي تجاوز السبعين، يجلس كل يوم على الدكة نفسها. في أغلب الأحوال، يقضي الساعات هائمًا في لا شيء، وعيناه مرهقتان دومًا. أحيانًا، يتقوس ظهره إلى الأمام نحو ساندويتش في يده أو جريدة يتصفحها بصعوبة، يبدل نظارته بنظارة أخرى للقراءة ويميل برقبته أكثر نحو ما يحمله ويده ترتعش وهو يقلب الصفحات، أحيانًا أخرى ينشغل بتليفونه المحمول، ربما يتصفح عليه النت أو يقرأ رسائل، أو ينتظر مكالمة. شعره قد فارق رأسه، ولم يتبقَ منه سوى أثر للذكرى، شعيرات بيضاء متوسطة الطول نافرة، وجهه شمعي يملؤه النمش، وملابسه دائمًا أنيقة وبسيطة. يأتي في التاسعة صباحًا مع الموظفين، يعرفه الجميع ويألفون حضوره، يستند على رجال الأمن حتى دكته المفضلة، ويتطوعون بشراء ما يحتاجه من وقت لآخر، إلى أن يحين موعد انصراف

الموظفين، يقوم بصعوبة من مكانه ولا يطلب مساعدة أحد، لا يتحدث كثيرًا لكن حين تسأل عنه أي من المترددين على المكان سيقول عنه جملة واحدة: إنه رجل وحيد يستأنس بنا.

1

كيس أسود ممتلئ آخر، أحمله إلى عتبة بابي. أعقد فتحته جيدًا. أفتح الباب وأعلق الكيس المنتفخ على مسمار في الحائط. لا أتذكر من أين أتى كل هذا الحشو وأنا أعيش بمفردي، لكن بالتأكيد كان به بقايا الدجاج الذي أعددته بنفسي، ولا بد من أن يكون بعيدًا عن متناول القطط الضالة، ويظل معلقًا كحلم يراودها، ولا يجذبها إلى بابي مرة أخرى، بعد أن ابتعدت منذ أشهر، تصرف احترازي للحفاظ على نظافة المكان، حتى لا تعتاد القطط على البيات على السلم والتسبب في الفوضى، مثلما كان الأمر في البداية، حين أتيت إلى البيت لأجد قطة تسكن عند بابي، وتصر على إلقاء فضلاتها على عتبتي.

لم يكن قدومي كافيًا بالنسبة لها للرحيل، فأنا مجرد محتل يسيطر

على منطقة ظلت خالية لها وللزائرين من أصدقائها في الشارع لسنوات. لم تفلح كل الوسائل في طردها، وكل النصائح لم تجدِ، ظلت كابوسًا ثقيلاً بالنسبة لي، ومع ذلك كنت أسأل عنها حين تختفي، خاصة إنها دائمًا ببطن منتفخ، وفي كل مرة تقول لي زوجة البواب إنها اختفت في مكان ما لتلد، في مرة اختفت فترة طويلة، وبعد أيام اكتشفنا أنها مختبئة في شقة بالدور الأرضي، كانت ملكًا لمصور لم يعد له زبائن، فصار يغلق الشقة لأيام. اختبأت وأنجبت أولادها وظلت ترضعهم بداخل ذات الشقة المهجورة، ولا أحد يعلم من أين كانت تأتي بالطعام والشراب. ارتحت حين عرفت أنها بخير، وكنت أترك لها علبة زبادي مفتوحة أو بقايا طعام في طبق بلاستيكي، رغم أنني كنت أتذمر من فوضاها وفوضى أولادها الصغار وزائريها من قطط الحي.

ظللت أقاوم وجودها على عتبة بابي بالمنظفات والوصفات المجربة وحتى زجاجات المياه. لم تكن القطة تخاف منها، فهي ذكية وحمولة بما يكفي لمواجهة غريبة مثلي، ولئيمة إلى حد التيقن من قدرتها على انتزاع الشفقة من قلبي كلما تقدمت في الخطط والحيل لإبعادها عن بابي، ظللنا هكذا، غريبين يعرفان أنهما لن يستطيعا التخلص من بعضهما البعض، ورغم ذلك فلا غنى عن المحاولة، كأنها سبب للاستمرار في الحياة، وكلما كانت خططي مؤذية أكثر، كاستخدام نوع من المنظفات ذي رائحة نفاذة، كان انتقامها بشعًا، كترك فضلاتها

بكثرة على بابي وكأن لسان حالها: "هذا هو الحمام الخاص بي قبل قدومك فعليك أنت بالرحيل".

اقتــرح البواب أن أضع لها سمًا في الأكــل فأصابني الذهول، كيف يمكن أن يفكر بتلك الوحشــية حتى لو كان الأمر يخص قطة مزعجة! ابتسم البواب وهو يرى الذهول معلقًا على وجهي، كأنني كائــن فضائي هبط علــى العمارة. لم يستوعب البــواب ما أقوله؛ فكيف أتذمر من قطة العمارة التي اعتادت على استخدام عتبة بابي كحمام خاص بها وفي الوقت نفسه تثيرني فكرة قتلها إلى هذا الحد! ابتسامته أخافتني أكثــر خاصة عندما اختفت القطة الولادة، وحين سألت عنها كانت الإجابة هذه المرة "داستها عربية".

مر عام ونصف على كل ذلك، والآن أحمل كيسي الأسود إلى نفس العتبة، لكنني لست مذعورة كما كنت في أول يوم، حين كنت أطل من العين السحرية، وأفتح الباب، وأنظر إلى السلم الصاعد المجاور لبابي بحرص، قبل أن ألقي الكيس بيد مرتعشة وأغلق الباب سريعًا. الليلة، أفتح الباب بهدوء، وأقف قليلا عند الباب لأتأكد من عقدة أذني الكيس التي ستلتف حول المسمار.

2

كانت يد الحاج فتحي مرتعشة، أيضًا، ولكن ليس من الخوف أو التحسب أو القلق، كانت يده مرتعشة بفعل الزمن. دهن حائط بيتي الجديد بدأب، رغم تعبه، أنجز العمل في وقت مثالي. أي نقاش آخر كان سيأخذ وقتًا أقل في العمل ذاته لكنه لم يكن ليلتزم مثله، فإن كان الحاج يستريح كلما تعب ويأخذ وقته كأنه ينجز عملًا فنيًا، إلا أنه لم يتغيب ولم يتوقف عن العمل إلا يومًا واحدًا، حدده قبل أن يبدأ في طلاء جدران بيتي، من أجل خطبة ابنته الوحيدة.

عم فتحي كان يعمل في البناء وكان أسطى كما قال لي لكنه الزمن. لم يعد يستطيع حمل أدوات ثقيلة فقرر أن يتعلم النقاشة. لا يمكنك معرفة عمره فابنه الأكبر تخرج حديثًا ويبحث له عن وظيفة، مَن يتمعن في ملامح الأسطى سيظن أنه في مقام الجد بالنسبة إلى

شاب متخرج حديثًا! قال عم فتحي إنه لا يستطيع إلحاق ابنه بالعمل في مترو الأنفاق حيث يعمل هو لأنه لا يجد "وسطه"، سألني الحاج السؤال التقليدي الذي تلقيته من الكهربائي والسباك والبواب: أنت هتعيشي لوحدك؟! السؤال محمل بالاستهجان حتى وإن كان متواريًا، وردودي اختلفت من شخص لآخر، مع البواب كنت عنيفة حتى يتعلم ألا يسأل كثيرًا، مع الكهربائي والسباك كنت قليلة الكلام، وردودي لا تشفي، مع الجيران كنت ودودة أحكي عن ظروف عملي في الصحافة والكتابة، بعد المسافة بين العمل وبيت العائلة وأشياء أخرى، مع عم فتحي كنت صادقة تمامًا وحكيت جزءًا من القصة، أخبرته أننا على كل الأحوال سنكون وحدنا، فلا ضامن لأي شيء، وأنني أعد نفسي لحياة الوحدة القادمة وأنا بكامل صحتي. أرغب في التعود على الحياة داخل فراغ يخصني أملؤه بما أحبه.

"عارف يا عم فتحي، طوال عمري أرغب في العيش بين الألوان، ألوان الطبيعة، الأزرق لون السما أو لون البحر، الأصفر لون الصحراء"، وحكيت له عن رحلتي الوحيدة آنذاك إلى صحراء سيوة بينما حكى لي عن تجربته أثناء شبابه حين كان يقطع أحجار الجبال، حدث هذا قبل أن ينتقل للعمل في مترو الأنفاق، حين كان شابًا قويًا، قبل أن تتآكل قوته فلم يعد أمامه للإنفاق على أسرته سوى أن يلون الحوائط بألواني المفضلة بهدوء وتركيز حتى يستطيع التحكم في ارتعاش الزمن في عروقه.

لا أعرف عمره، هل هو كبير في السن وتزوج في سن متأخرة لذلك أولاده في عمر صغير بالنسبة لتهالكه الواضح، أم أن العمل الشاق قد ينحل الجسد قبل الأوان، لكنه حكى عن ابنته التي لم تكن تقبل العرسان الذين تقدموا لها حتى ارتضت شابًا خطبت له في فترة عمل عم فتحي في شقتي، حمد ربه على قسمة ابنته، ربما كان يفكر لو أنها رفضت العريس ولم يأتِ مَن يرضيها، وقررت يومًا ما أن تعيش بمفردها مثل تلك الشابة المجنونة، ماذا كان سيفعل؟!

اخترت أن أدهن الحوائط بالأزرق والأصفر. استهجن الكثيرون الفكرة لأن الشـــقة ضيقة والأبيض هو أنسب الألوان لجدران تحيط بمساحة صغيرة. لـــم يكن يهمني هذا الأمر، بـــدت غرفة وصالة مـــن قطعتين مفتوحتين على بعضهمـــا البعض مساحة ملائمة جدًا للحياة. لا أحب البيوت المتسعـــة ذات الحجرات الكثيرة. أحب أن أرى كل مكان في بيتي بعينـــي ولا تحول الحواجز بيني وبين أي مساحة تخصنـــي. في حكايات ألف ليلة وليلة هناك حجرات كثيرة في قصور شـــاهقة، بعضها مغلق علـــى ما فيه، حيث تكون مجرد بوابة لعوالم أخرى، وهناك أبواب ممنوع فتحها، حجرات الأسرار والغمـــوض. وأنا لا أحب أن يكون في بيتي سر ولا أريد غموضًا، أريد سحرًا نابعًا من الألوان. تكفيني حجرة واحدة مغلقة زائدة عن الحاجة تصلح مخزنًا للعائلة، أما المساحة التي اخترتها للحياة فهي

مفتوحـة أمام عيني ومسحورة بألوانها، الأزرق هو لوني المفضل بينما الأصفر هو لون لم أكن أحبه قبل الذهاب إلى صحراء سيوة. تصالحت مع لون الذهب حين نمت فوقه وطالعت الجواهر المتراصة فوقـي، ومددت يدي لأقطف منها، واحتفظ بثمرات السماء الفضية في قلبي طوال العمر.

كنا خمس نساء من جنسيات مختلفة، أصدقاء لصديقة استضافتني في منزل تستأجره. كانت تعمل في سيوة في تدريب السيدات السيويات على المشـغولات التراثية السيوية القديمة. لم تعرفن كيف تصنعن مـا صنعته أيادي الجدات القديمات من جمال، تحتجن مَن يأتي من المدينة البعيـدة لتعليمهن ذلك، ومَن تأتي من المدينة البعيدة تحتاج تلك الأجنبيات المتحمسات لكل ما هو قديم لتمولن ذلك العمل، وأنا احتجت صديقتي في وقت صعب في حياتي.

كنت قد خرجت من تجربة معقدة، وأبواب العمل مغلقة أمامي، وشيء بداخلي مسجون، يسجنني بدوره خلف أسوار تحول بيني وبين نفسي، وسط كل هذا كنت مع أربع سيدات نستجيب لنداء كلاب مدربة، نسمع صوتها، فقط، لكننا لا نراها في الظلام. ركنّا السيارة على حافة الظلمة واستجبنا لنباح الكلاب الحامية وسرنا خلفها، لا نرى بعضنا البعض، ولا نرى أكفنا الممدودة لتتحسس بعضها البعض. تركنا الرمال الصفراء الواضحة وسرنا فوقها وهي تلبس رداء أسود مثل المحيط، حتى وصلنا إلى تلك المنطقة

السحرية، الغرفة المغلقة في قصور الجان، السماء السوداء التي تتلألأ فيها النجوم كأنها في لوحة لفان جوخ. نمنا على الرمال التي لم يعد إليها لونها الأصفر، وأخذنا نلعب ضاحكات مع الجواهر فوقنا، نقطفها ونرتديها زينة لقلوبنا الحزينة. نضحك ونحن ندعك همومنا في الرمال، ونكبسها بنور النجوم، ونتلاشى في الأفق.

كانت تلك اللحظة السحرية قبل سنوات طويلة، لم أكن أعرف أي شيء عن تلك النجوم التي أعادت الحياة إلى قلبي، لكنني تعلقت بها، وظللت أتأرجح بينها حتى ذلك اليوم الذي قررت فيه دهن شقتي الجديدة بالأزرق والأصفر. على كل الأحوال أنا أكره اللون الأبيض الذي يذكرني بلون حوائط المستشفيات، يحيلني فورًا إلى حوائط حجرة أبي في المستشفي قبل رحيله، إلى لقاء أخير. تتلألأ النجوم من أجل أن تمنحه سحرًا يبدد الوجع. أكره أيضًا اللون الكريمي أو "سن الفيل" الذي احتل أغلب البيوت التي سكنت فيها مع عائلتي. لون بلا خصوصية، لون يعكس حالة البين بين التي نعيشها. لون يدهن مثل الأبيض بهدف لا يمت للجمال بصلة، يريدون أن يجعلوا المكان أكثر اتساعًا، يضحكون على أعينهم وحواسهم، وأنا لا أريد أي أكاذيب في مساحتي الخاصة، أريد فقط بحرًا وسماءً ورمالًا وأحلامًا تخصني وحدي.

"السماء بيتي"

عبارة قالها المرشد في رحلة لتتبع نجوم السماء خارج القاهرة. صرت أهتم بعلم الفلك. شدتني إليه شخصية في نص جديد أكتبه، فكان لا بد أن أقرأ أكثر في هذا المجال. وجدت بالصدفة مقرًا لجمعية مهتمة بعلوم الفلك، وقررت أن أذهب مع أعضائها في رحلة ليلية إلى الصحراء القريبة من العاصمة لرؤية الكواكب والنجوم والتعرف عليها. الليل الأسود لا تجرحه سوى أضواء بعيدة، لكنه ليس صريحًا إلى الدرجة التي كان عليها في رحلة سيوة، يقول المرشد: إن الصحراء على حواف القاهرة صارت ملوثة بسبب الزحف العمراني ولم يعد من السهل رؤية كل المجموعات النجمية المنشودة، لكنه يأمل في أن تكون حالة الجو أكثر صفاء. لم تكن النجوم كالجواهر لكنها كانت واضحة. مجموعة "الصياد أو الجبار" النجمية مميزة بنطاق الصياد الذي تخيله الأقدمون، كل أسماء النجوم نبعت من الخيال، ونجم سهيل القريب واضح بألوانه المتبدلة في الأفق، أكثر النجوم التي كنا نبحث عنها كان الدب القطبي لأنه سيرشدنا إلى الشمال. في خرائط النجوم كل نجمة ترشد إلى صديقتها، يمكنك معرفة الدب القطبي من توسطه بين مجموعتين أحدهما من خمس نجوم صغيرة مرصوصة على هيئة مثلثين، والمجموعة الثانية أسماها الأقدمون "المغرفة" كانت بالفعل على هيئة مغرفة، إنه الخيال الذي أسس لهذا العلم. الخيال الذي شدني إلى السماء فأردت أن أصنع من بيتي سماء وأرضًا بكرًا.

عمل عم فتحي في حوائطـــي كأنه يرسم لوحة. فان جوخ حين رســم لوحته "سماء لانهائية" وضع تخيــلا لخريطة سماء بدائية، سألت المرشــد إن كان هذا حقيقيًا فقال إن لا شـــيء مؤكد لكن هذه اللوحة تشــبه خرائط السماء، بمجموعاتها النجمية، نجمة الشعري اليمانـــي جزء من مجموعة الكلب الأكبر يمكن الاستدلال إليها من خلال مجموعة الجبار، أنا أشبه هذا الجبار، هذا الصياد الذي يبحث عن ضالته في السماء. أبحث، أيضًا، عن نجمة الدب القطبي حتى أحدد اتجاهاتي. أولي وجهي ناحية الشـــمال، ناحية الشرق، أطيل النظـــر ناحية الغرب حيث تغرب الشـــمس وحيث يغوص كوكب الزهرة الأقرب لـــلأرض، وحيث يتبعه كوكـــب المريخ الأصغر والأبعد.

تابعت منذ عام ونصف عم فتحي وهو ينهي عمله، وقررت أن أغير من الكنبة المركونة وألبسها رداء أخضر حتى تشبه بساطًا من العشـــب، وأن ستائر حجرة نومي ستكون برتقالية حتى تشبه أشعة الشـــمس، وأن سقفي الأبيض هو سحب تغطي السماء وتغطيني. لم أخبرك يا عم فتحي بكل هذا، لكنك كنت أجمل شيء في رحلة إعداد الشقة، بين مشاكل العمال ومشاكل الاستقلال عن الأسرة، ومشاكل مواجهة العالم، كنت الأقرب إلى خيالاتي. تعمل بجد قدر إمكاناتك وتغضب مني إذا أبديت اعتراضًا أو ملاحظة على عملك، فأتوقف.

عــن ذلك، كنت ستقبل ما تفعله أيًا كــان، يكفي انك أحببت خيالي وساعدتني على تحقيقه، اختيــار درجات الألوان وكيفية الوصول إلى أقرب درجة مــن الدرجات المختارة، اختيار نوعيات الدهان، كيفية التعامل معه، غرفة النوم بلون أزرق سماوي، الصالة باللونين الأصفر والأزرق الأقرب إلى ألوان البحر. تأملت نتاج تعبك بحب وأنت تغــادر المكان. لم تهتــم بقيمة المبلغ الذي بيــن يديك بقدر ما نظرت إلى عملك الفني. تصور فان جوخ لخريطة السماء الأولى ســوف يعلق فوق إحدى الحوائط التي لونتها بيدك يا عم فتحي بعد رحيلك بفتــرة طويلة، بجوار لوحات أخرى تجمع كل تلك الألوان التي منحتني حياة جديدة.

3

أستيقظ صباح يوم الجمعة على صوت بائع الروبابيكيا. يدغدغ صوته أفكارًا كثيرة تتزاحم في عقلي. ليس لدى مقتنيات قديمة بعد مرور أكثر من عام على إقامتي في هذا المنزل بمفردي، فأنا أتخلص منها أولا بأول، مما يغضب أمي كثيرًا، التي تحب الاحتفاظ بأشيائها حتى تزدحم الحياة من حولها، ولا تعثر على ما تريده، أما أنا ففضلت التخلص من كل ما هو زائد عن حاجاتي، من معظم الأثاث والمفروشات القديمة. كنت أريد مساحة من البراح. تركت فقط ما يصلح للاستخدام وأستطيع تجميله بشكل يرضيني إلى حد أنه لم تعد هناك كراكيب تصلح لهذا البائع الذي أيقظني صوته مبكرًا على غير العادة، مناديًا بطريقته العتيقة على أشياء لا أملكها "بيكيااااااااااااااا".

بيت إيجار قديم في حي شعبي لا يشبه الأحياء الشعبية القديمة.

حي مستحدث أقيم في سبعينيات القرن الماضي، على أنقاض تربة زراعية تم تجريفها، وبناء عمارات متلاصقة. لا أفتح الشبابيك حيث يمكنني أن أصافح جارتي. كان هذا أوفر حتى لا أزعج نفسي في بداية استقلالي بنفقة بيت إيجار جديد سيلتهم أغلب مرتبي. شغلتني التفاصيل المادية كثيرًا؛ أكتب كل تفصيلة في نفقاتي الشخصية في دفتر صغير خصصته لذلك، حتى اطمئننت أن دخلي الشهري يوازي نفقاتي، فتوقفت عن هذا، ولا أعرف أين ذهب الدفتر! كان لونه فسفوريًا، يمكن تمييزه في الظلام حتى وإن كانت أباجورتي مغلقة، يبدو أنني سأعود إلى هذا الطقس بعد ارتفاع الأسعار، وسأدخل للأسف في دائرة البحث عن عمل إضافي، لم تعد الكتابة كافية، أو ربما عليّ أن أكتب شيئًا آخر غير تلك التفاصيل التي أفرطها على صفحاتي بتمهل لا يلحق بإيقاع الحياة، في الحقيقة الكتابة لم تكن أبدًا كافية وتصلح للعيش، ولكنها كل ما أستطيع فعله، فلنقل إنها كل ما كنت أريد فعله، حتى أيقنت أنها ليست وسيلة للعيش وليست فعلا أيضًا، إنها ابنة خياراتي في الحياة، فإن لم أعش بطريقتي فلا معنى لما أكتبه!

لا أعرف ما الذي يربطني بتلك الأفكار في يوم الجمعة وهو يوم الإبداع المطبخي وتفريغ جمجمتي من كل ما يقرع جوانبها وملأها بالروائح والألوان.

هذا الحيز كان حلمًا اكتشفته منذ خمسة أعوام تقريبًا، لم يكن متاحًا لي دخول المطبخ، مملكة أمي، إلا لأداء مهام ثقيلة، مثل غسل

الأطباق، حين سافرت لأداء طقوس العمرة، كنت أنا في مملكتها أستكشف الحياة لأول مرة من منظور آخر. أستخدم حواسي كاملة لإنتاج طبق سينتهي سريعًا، وتظل طاقته كامنة في فراغ داخلي، تملؤه هوايتي المستحدثة بشغف جديد، ألجأ إليه حتى لا يغادرني الشغف بالحياة، ألجأ إلى منطقة سلام تخصني ليس لدى أحد القدرة على انتزاعها مني، أو هكذا كنت أظن حتى عادت أمي إلى مملكتها وفرضت سيطرتها بالكامل، لم تعطني فرصة أخرى للعمل الرائق في معملها.

مطبخي ضيق فكان لا بد من قدر من التدبير في توزيع تجهيزاته، وعدم الإفراط في شراء مستلزماته، مع الوقت تعلمت التعامل مع مساحتي حتى أنه لم يعد لأحد غيري القدرة على التعامل معها، أو ربما صرت أنا مالكة الحق الوحيد في العمل في مملكتي، مثل أمي تمامًا!

حين دخلته أول مرة فتحت الشباك الصغير ومنفذ الهواء الوحيد في المطبخ، فواجهتني ابتسامة جاري العجوز اللزجة. ألقيت تحية الصباح بوجه جبسي، وأستأذنت لإغلاق الشباك. لم أفتح هذا الشباك، أيضًا، بعد هذا اليوم، خاصة حين فتحت الباب لزوجة البواب فوجدت الجار واقفًا أمام باب شقته مشيرًا إليّ بنفس اللزوجة، أشار بأصابع كفه الأيمن إلى بنصر كفه الآخر فنظرت إليه بتعجب وعدم فهم، فسألني: هل أنت مخطوبة؟

جحظت عيناي، ولم أرد عليه فبادرني بقوله: أقصد هل تفكرين في....؟

أدخلت زوجة البواب وقلت بحدة: عن إذنك.

أغلقت الباب.

حيــن كنت أقطن في هذا البيت مع عائلتي كان لدى هذا الرجل زوجة وأولاد، يقولون إنه تزوج من شابة صغيرة بعد زواج أولاده وإن زوجتــه تركــت البيت لتعيش مع أحد أولادهــا، وإن زوجته الشــابة تركته بعد فترة قصيرة، فأصبح وحيدًا. توقف عن الحديث إلــيّ بعد ذلك فلم أعد أعطه الفرصــة لأي سؤال سمج آخر، حتى طرق بابي منذ عدة أشهر.

كنت قد قضيت شــهر رمضان وأيام العيد في بيت أمي، وكان يســأل عنــي، قال إنه فقــط لا يجد مَن يتحدث إليــه بعد أن صار "على المعاش". سألته عن أصدقائه، فقال إنه لم يعد لديه أصدقاء، شــخصت عيناه وهو يقول: كلهم ماتوا وأنا لا أريد شــيئًا سوى أن تسألي عني إن غبــت حتى أطمئن أن هناك من سيعثر على جثتي إذا مت.

لــم يكن من يقف أمامــي جار متطفل أتجنبــه، بل رجل وحيد يستأنس بي.

4

العزلة وهم والوحدة زائفة، طالما أسمع هذا الصوت، منوهًا عن رسالة جديدة على حسابي بالواتس أب أو تعليق على استاتوس على الفيس بوك، الخوف، أيضًا، يتلاشى حين تدرك أن هناك شخصًا ما يقطن بجوارك يمكنه نجدتك، إذا أرسلت إليه رسالة قصيرة. الخصوصية تنتهي حين تدرك أن شخصًا ما في مكان بعيد يمكنه معرفة ما يحدث في بيتك الصغير، حتى وإن فصلت بينكما قارات.

أخبرت سمير عن سماعي صوت ارتطام بالمطبخ، تكرر أكثر من مرة، قلت إنني أشك في أن فأرًا قد تسلل من المنور إلى المطبخ. كدت أسمع ضحكات صديقي المقيم بالخارج وهو يذكرني بتخيلاتي عن البرص وتشبيهي له بالتمساح، محاولًا إثارة الرعب في نفسي،

ضحكت مثله، بعد أن أغلقت باب غرفتي حتى يأتي الصباح واستدعي النجدة، زوجة البواب.

تابع معي أكثر من صديق عبر وسائل التواصل والموبايل قصتي مع الفأر، أو قصة الفأر المزعوم والفتاة حبيسة الغرفة. سخرت من صديقتي الأقرب التي كانت على وشك النزول من بيتها في تلك الساعة المتأخرة لإنقاذي، كنت ممتنة لعرضها رغم سخريتي منها وتأكيدي على اتخاذي كل وسائل السلامة اللازمة، هناك مَن يتفهم خوفي من حركة غير معتادة في مطبخي، هناك من سيفتقدني ويتفقد بيتي، مجرد الفكرة أزاحت الخوف عن غرفتي.

لا يخشى سمير من الوحدة، يرغب في العودة إلى مصر حتى وإن كانت ابنته تبكي منذ أن أخبرها بقراره، يكتب سمير عن عدم قدرته على الانسجام مع الحياة في بلد غريب، رغم أن الهجرة كانت حلمه الذي عانى حتى تمكن من تنفيذه. يكتب عن ترتيباته المستقبلية في مصر، وكنت أحاول أن أثنيه عن عزمه، أحدثه عن الفرصة التي لا تتكرر، أذكره بحلم الهجرة الذي لم يحققه بسهولة، معاناة البدايات، نتبادل قصص الوحوش التي تطاردنا، يحدثني عن الغربة وأحدثه عن الوحدة.

لم يعد يمكنك الحياة وحيدًا دون بشر يصلون إليك عبر الفضاء،

دون حيـــاة، أنت لست وحدك وإن أردت، أو لست وحدك لأنك في الواقع لا تريد تلك الوحدة الصافية، هذا الصوت الذي يقلق عزلتك ليـــس سوى وسيلتك للاتصـــال بالآخرين بأقل قـــدر من التورط لكن لا مهرب من الألم، فهـــذا الصوت ينقل لك كل خيبات العالم، ويجـــرح عزلتك، يعلمك بما كان يمكن ألا تعلمه، هل بالفعل الجهل نعمة؟ أتذكر تعجب أمي لعـــدم معرفتي أخبار ابنة عم والدها، فقد أخبروها أن صور حفيدتها قد نشرت على الإنترنت، تسألني أمي: "هي مجاتـــش عندك؟" تعاتبني لأني لم أخبرهـــا بوفاة زوجة ابن خالة ابي، أحاول إقناعهـــا بأنني لن أعرف أخبارهم لأنهم ببساطة ليسوا أصدقاء لدي على الفيس بوك، أو إنستجرام، ولذلك لن أشاهد صورهـــم، وربما في قائمة أصدقائي لكـــن لم يصادف أن ظهرت أخبارهـــم في الصفحة الرئيسية وقت دخولـــي إلى حسابي فتقول: "بتعملـــي إيه بقى بالموبايل واللاب توب اللي عندك وأنت مضيعه عنيكي عليهم!".

إنني جاهلة يـــا أمي بأخبارك المفضلة، وأتمنى أن أكون جاهلة بأخبار العالم. أتنازل عن تلك المعرفة التي أنهكتني، والتي اكتشفت مـــع الوقت أنها ليست سوى معرفة قاصـــرة، محدودة بما اختاره، وبالمجال الذي أحيط نفســـي به، التكنولوجيا هي مجرد وسيلة بث مباشر لرحلة كوكب الأرض نحو الزوال، شاشة تعرض خطوات البشرية في الطريق نحو الحياة البدائية من جديد. معرفتنا المختارة

لن تنقذ العالـــم، ولن ينقذني من بؤس اللحظة التي نعيشـــها سوى صوت نقرات أصابعي على الكيبورد المحببة لأذني، هذا الصوت والذي ظنه، يومًا، عصفور زقزقة عصفور مثله، كنت آنذاك أكتب روايتي الأولى وأرقب النهار المشمس خلف الزجاج، الذي يمنحني الحـــق في رؤية العالم، بينما لا يراني مَن بالخارج، كان العصفور يرى صورته ويسمع صوت نقراتي فيظنني وليفًا يشبهه.

"سهران لوحدي أناجي في طيفك، ولا أناجي في الفار؟"

أسمع ضحكاته المألوفة لي عبر سطوره، يكتب سمير وهو يقرأ ما أكتبه عن رسائلي المعلقة في صندوق بريد مَن أحب، أقص عليه حكاية عابرة في طريقها إلى النهاية، أخبره أنني كنت أقفز من الفرحة حين كان يراسلني من أسماه بـ"الحبيب المجهول"، عن قلقي عليه بسبب غيابه عن وسائل التواصل وعن عدم قدرتي على مراسلته والسؤال عنه، خوفًا من أن أكون مثل هذا العصفور الذي يناجي خياله على الزجاج، لا تروقه مراوغتي في الحكي، أكتب عناوين رئيسية وأعده بالقصة كاملة حين يأتي إلى القاهرة في الأسبوع القادم، من أجل بدء خطوات تنفيذ مشروعه في العودة النهائية. ربما أكون قد فهمت أكثر ما يحدث بداخلي، كنت أعد وحدات متناثرة بانتظام على سجادتي الملونة التي جلبتها من الخيامية، لم تكن متقنة الصنع، كل

الحرف اليدوية في طريقها للانقراض، العالم كله يزحف نحو ما قبل ظهور تلك الحرف، يزحف نحو الكهوف، داخل الجبال، حيث يقطن بشر يستخدمون نفس التكنولوجيا في صراعهم من أجل أفكار تقتل، أفكار تقود القتلة إلى الجنة، فكرة أنقذت الإنسان البدائي فاخترع النار، وفكرة ألهمته صناعة الأسلحة، الأفكار تتصارع، تختلط ليس من الحكمة أبدًا أن تترك لأفكارك العنان لأنها ستحارب فكرة النوم ذاته، ستستدعي أفكارًا أخرى تدعو للخوف من جديد. عليك إثبات قوتك أمام أفكارك بفكرة محكمة، الهجوم خير وسيلة للدفاع، خطة وضعها لاعبو الشطرنج والكرة ومن قبلهم مشعلو الحروب. أهاجم الأفكار، وأهزم الخوف، وأغلق أباجورتي، وأنام.

جاءت أم فاطمة متسلحة بالمقشة، بعد اتصالي بها صباحًا. ارتديت أكياسًا في قدمي، وفتحت باب الغرفة بحرص، تفحصت الصالة وحمدت الله أنه لا يوجد الكثير من الأثاث، بعض الكراسي وكنبة ومكتب ومكتبة للكتب ومكتبة للتليفزيون، لن يستطيع الاختباء سواء أكان لصًا أو فأرًا، ليس لصًا بالتأكيد. هو فأر فما الذي يدعو لصًا للبقاء حتى الصباح؟ وكيف كان سيسرق أجهزة كهربائية وينقلها ببساطة ودون جلبة من حي شعبي! دخلت زوجة البواب المطبخ. تفحصت كل مكان فيه، انتقلت إلى الحمام، الصالة، لا شيء! ضحكت

ام فاطمة وقالت: "لازم الجيران كانوا بيهزروا بس مع بعضهم".

اعتدت مـــع الوقت على جلبة المساء المفاجئة، أن تغلق المحال المنتشـــرة في الشـــارع وتتلاشـــى الأصوات تمامًا، ثم فجأة تسمع صـــوت في المطبخ أو الحمام، إنه ليس فأرًا أو لصًا، إنه فقط جار استيقظ من النوم ودخل حمامه أو مطبخه، أو جارة ألقت شـــيئًا من شباكها فدوى صوت ارتطامه بالشـــبابيك في كل الأدوار التي مر عليها حتى تحطـــم في المنور، إنها تفاصيل الليل الصغيرة التي لا تستحق أن توليها اهتمامك.

صوت الرسائل تمنحني الأمان حتى وإن لم أجب عليها وتركتها بـــلا علامة رؤيتي لها. صوتي المسجـــل في رسائلي إلى صديقتي المغربية، وسيلتها المفضلة في التواصل معي، حيث نبدو كأننا نعيش معًا، ننقـــل تفاصيل حياتنا الصغيرة عبـــر تسجيلات الواتس أب. لـــو كنت أعيش بلا كل تلك الوسائـــل المخصصة للتواصل لنسيت صوتي، ربما كنت أذعر حين أسمعه، أظنه صوت شخص آخر.

لم أعد أخاف من الأصوات التي تتنقل عبر فضاء بيتي ولا في الفضاء الافتراضي.

5

بدأ الشغف بالألوان غريبًا، وساحرًا. لم أكن أعرف أنه سيتحول إلى سلاح في يدي وأنا أواجه الوحش، مثله مثل صوت أم كلثوم الذي تسلل إلى بيتي الجديد خلسة، من نافذة غرفة النوم.

كنت أهرب من عيني الوحش وألصق عيني في شاشة اللاب توب، حين باغتني صوتها وهي تجلجل في السكون: اللـه محبة، الخير محبة، النور محبة، يا اللـه! كيف لم أكن أنصت إلى هذا الصوت من قبل؟! كانت تكمل تلاوتها فتلين عيناه الذئبيتان. يتوه توحشهما في شك ما، نعم كان شكًّا، هذا الذي دفعه للهروب. لم يخف الوحش. لم يحترق كشياطين الأفلام، إنه فقط تشكك في قدرته على محاصرتي. هرب من سكينتي المفاجئة، من غياب التحدي في عينيّ الهاربتين فوق شاشة اللاب توب. شك في كوني عدوًا مفترضًا، لكنه أيضًا،

لم يتأكد من كوني صديقًا. لم أهزم الوحش ولم يهزمني، حتى هذه اللحظة لم يحدث إلا أننا روضنا بعضنا البعض. لا يمكنني القول إنني كنت أعرف هذا حين باغتني وباغته صوت "الست" لأول مرة. كنت أعتقد آنذاك أنني هزمته، ومع كل ليلة يتسلل فيها الصوت المتمكن ويهرب أمامه الوحش كنت أعتقد أنني وجدت تعويذتي، وأنه غادرني بلا عودة.

كنت، فيما مضى، لا أستطيع النوم في غرفة بمفردي، كطفلة مذعورة رغم تخطي سن الطفولة. كي أقرر الاستقلال كان عليّ محاربة وحوشي، أو كان عليّ الاستقلال كي أواجههم جميعًا. كانت مخاوفي من كل شيء، من الغرباء والكائنات المجهولة، من الكوابيس، التي أستيقظ وأنا لا أتذكر تفاصيلها ولا يتبقى منها سوى الرعب، نوبات من الفزع، وخزات في صدري. كنت فيما مضى لا أنام إلا لو لامست كائنًا حيًا آخر. تعودت على النوم بجوار أمي أو إخوتي، حين أصبح لي سرير منفصل في بيت العائلة بدأت نوبات الفزع تزورني. فزع بلا سبب، أحيانًا، كنت أسمع طرقات على الحائط وكنت أقاومها بتنظيم التنفس والتفكير في خيالات أخرى. أتذكر لقطة من فيلم ملون، لبحر شاسع، بتدريجات الأزرق، أو أتخيل لوحة لأفق يمتد بلا نهاية حاملا درجات النور والنار والسكون، في مراحل أخرى، كنت أمارس التأمل وأسرح وراء نقطة في الفراغ أو أوجه عقلي نحو الحقائق وأفكر في تفاصيل الحياة اليومية. أردد

بصوت خفيض: لا معنى للخوف، لا وجود لتلك الأفكار الطفولية، أنت آمنة. الحياة تسير، تلك لحظة عابرة وستمر. أحيانًا أخرى كانت تهاجمني الأحزان، أستعرض الماضي بكل خيباته، فأذرف دموعًا ساخنة، مع الوقت كنت أقاوم أيضًا تلك الأفكار، لكنني لم أستطع مقاومة الإحساس بالقهر. إحساس يومي كان يكسرني كل ليلة، أسئلة وجودية بلا إجابة، والخوف من المستقبل الذي يمكن أن أواجهه وحدي بكل هذا القدر من الارتياع والهلع.

تساءلت كثيرًا لماذا يأتيني صوتها في موعد محدد كل يوم، حتى أخبرتني صديقة أنه موعد إذاعة حفلات الست في إذاعة الأغاني، ومع ذلك ظللت أسمعها عبر راديو الجيران. أتخيل جارة سمينة تعد العشاء لأطفالها وتستمع إلى حفلة جديدة، تلقي البيض المخفوق على السمن الساخن وهي تتمايل مع ثومة ويعود إليها شبابها بينما زوجها يصرخ مناديًا على عشائه، ربما شابة تستكشف صوت الست لأول مرة مع قصة حب تطرق أبوابها، تسمع صوت ثومة القوي وهو يذوب في فم المحب كحلوى غزل البنات، ربما شاب تدير عقله تلك الأنوثة المختلطة بالقوة، فيصرخ معها بصوته الأجش مطلقًا لضعفه المدى. أكتشف كل يوم أغنية، أغضب حين يكون الصوت منخفضًا وأنتشي حين يعلو الصوت فأردد وراءها الكلمات، وأصرف كل وحوشي.

الصوت الذي تسلل عبر النافذة في أول أيام استقلالي بدا غريبًا، ثم صار مع الوقت حياة أخرى، كأنه قادم من السماء، ثم أصبح حيًا بأساطير صنعتها. وجوه رسمتها في مخيلتي. تجلس الآن حول الراديو. يشبهون جمهور حفلات الست، بأناقتهم واندماجهم. اتذكر تلك السيجارة التي انتقلت بين أربعة أشخاص جالسين بجوار بعضهم البعض يستمعون لأغنية لها. أشعل الرجل السيجارة وانتقلت بين سيدتين حتى استكانت بين أصابع تلك السيدة التي سلب صوت ثومة حواسها، كأنها مجذوبة في صومعة شيخ طريقة، بكل أريحية، لم يهرب المصور حتى لا يفسد الذوق العام للمشاهدين. المصور كان هائمًا في حب تلك السيدة الأنيقة المنتشية!

لم يكن رفض أمي أو وضع العراقيل في طريقي ما يوقفني، فقط الخوف هو ما أجل خطواتي نحو الاستقلال سنوات طويلة، وحسابات معقدة، وانعدام الثقة في نفسي، في إمكانية مواجهة كل مخاوفي بمفردي، كنت ما زلت تلك الطفلة التي تنام بين أبويها، تلك الطفلة التي لا يغمض لها عين إلا في حضن والدها، تلك الطفلة التي لا تريد الإذعان لحقيقة موته، فترتعد في سريرها وحيدة، وهي تقترب من الأربعين، وكنت خائفة على تلك الطفلة، وخائفة منها، من إمكانية أن تظل مربوطة مع وحشها حتى يأتي الوقت الذي لا بد فيه من مواجهة الحقيقة. كنت أكتب لأقتل وحوشي، وكانت

تلك هي الوسيلة الوحيدة للتعامل مع كل هذا الوجع.

في يوم، كنت أكتب نصًا جديدًا، شخصية صعبة المراس، بعيدة تمامًا عني، ملكتها بصعوبة، وفي تلك اللحظة التي بدأت فيها الانطلاق بصوتها، كانت أمي تصرخ فوق رأسي لسبب ما لا أتذكره، تصرخ ولا تمنحني الفرصة لإلقاء ما في أعماقي على الورق، كنت على وشك إلقاء نفسي من شباك الغرفة، نعم، كان هذا ما يدور في عقلي بكل بساطة، لا ملاذ سوى إنهاء حياتي الآن وفورًا. بكيت على جثتي التي ستكون بعد قليل ملقاة أسفل البناية. لم يوقف البكاء سوى فكرة أنني ما زلت على قيد الحياة، وأنني لو لم أواجه الوحش الآن فعليّ أن أحضنه وألقيه معي من شباكي فورًا، وبدأت الخطوات الجدية للتحكم في حياتي، الآن وليس بعد أن أصبح عجوزًا تكبلها طفلة مذعورة بجوار الشباك.

لا أعرف لماذا توقف صوت ثومة عن الوصول إليّ عبر راديو الجيران، ربما انفصل الزوجان، ورحلت الأم بأولادها لمكان آخر حيث تستمع لأغاني الست وتبكي، ربما انتهت قصة الحب وتوقفت الشابة عن سماع ثومة واستبدلتها بهيفاء وهبي، وربما غير الشاب عاداته فلم يعد يستمع لحفلة ثومة في هذه الحجرة، أو أصبح يبحث عن حفلاتها في إذاعات مختلفة عبر الإنترنت وليس في حاجة للارتباط

بالموعد الرسمي لإذاعة الحفل. لم أعد أحتاج إلى جيراني على كل الأحوال، صرت أفتح قناة الأغاني، وأكتشف أم كلثوم من جديد.

كنت نائمة بين أبي وأمي حين اخترقت العجوز الباب، واقتربت مني، تشبه العجوز أم منقار في فوازير ألف ليلة وليلة، كلما اقتربت خطواتها المتمهلة، بقدمها العرجاء، تشبثت بأبي أكثر وبكيت، وكانت أمي تضحك وأبي يهدأني، ويقول لي إنها ست طيبة، وهي تقترب أكثر وأكثر. كابوس طفولتي، الذي فسرته فيما بعد بأنه من توابع أول زيارة لدكتور أسنان، وخديعة أبي لي كي لا أخاف، وصراخي وبكائي وأنا طفلة، الخوف الذي تسرب إليّ وظل يتراكم عبر السنوات، ويأخذ أشكالا خرافية ومادية. الخوف من العالم صار وحشًا لم أنتصر عليه إلا في بيتي، وأنا نائمة وحيدة وآمنة، بلا نوبات هلع. أنا الآن أسيطر على طفلتي.

6

أضع البراد على النار والتقط تفاحة من الثلاجة. أشرب الشاي بالحليب، وأتبل الفراخ على أنغام موسيقى تصويرية لفيلم إسباني أحبه. التوابل متعة أخرى لا أميز بينها، وكلما قررت فصلها ووضع شريط لاصق مكتوب عليه اسم كل نوع أنسى فعل ذلك، لكنني أميز الجنزبيل والقرفة أهم التوابل بالنسبة لي، الفلفل الأسود يكفي أقل القليل منه حتى لا يتعب جهازي الهضمي الحساس، أشم بقية التوابل وأستخدمها كيفما اتفق.

أمارس طقس تقشير البصل بمصاحبة صوت أم كلثوم، كل ما يتعلق به يثير حواسي، أنزع قشرته كأنني طفلة تنزع الملابس عن عروستها أو أم تستعد لتحمم طفلها، أقطعه على اللوح الخشبي وأنا أترنم بكوبليه ترردده ثومة، غالبًا أقسمه قطعًا صغيرة أعيد قطعها

أكثر من مرة كأنني أنتقم من عدو، إلا أنني فضلت اليوم تقطيعه شرائح فلم أحدد ما سأفعله به بعد. أتطهر عبر الدموع، وتسيل أنفي وتتبع السعادة من آبارها السرية وتفيض عبر كل حواسي. ما زالت السكين في يدي ويمكنني اللعب بألوان الخضروات، الأخضر والأصفر والأحمر بدرجاتها، في أعماقي تلك الألوان، تربت على أعصابي المشدودة، تفك تعقيداتها ببساطة، ينعكس نور خفيّ على تلك الألوان، كما تنعكس أشعة الشمس على الكواكب، ربما هناك كواكب صغيرة تسبح في أعماقي، وتلك الألوان تبدد ظلمتها، فتصبح مكشوفة أمامي وتفاصيلها زاهية ورائقة، يمكنني تفحصها وترتيبها والتخلص من كراكيبها بسهولة، سأحتفظ بذلك الكشف في أيامي القادمة، ولن يغير من تفاصيله وصول زوجة البواب ومكالمات أمي وزحام العالم وضجيجه.

بدأت زوجة البواب في تنظيف الشقة، تتصل أمي للاطمئنان عليّ في مكالمتها المعتادة. كنت في البداية أتضايق من إصرارها على ملاحقتي رغم بعد المسافة، ثم صارت تلك المكالمات مصدر أمان لي، فهي تشعر بي حين أتعب وتكون مكالمتها في الوقت المناسب في كثير من تلك الأحوال، إلا أن مكالماتها قلت مع الوقت، كأنها تعاقبني على البعد، أو كأنها اطمأنت على قدرتي على الحياة بعيدًا عنها. أمي كعادتها، تصر على أن صوتي متعب وأنني، بالضرورة،

مريضة لأني لا آكل جيدًا، وتلقنني الوصايا، بينما أراقب ألوان الجدران التي لم يكن ليسمح لي بدهان بيت العائلة بها، بعد إنهاء المكالمة انتبه إلى أن زوجة البواب كانت تتحدث والتقط من بين كلامها عبارة: "ضل راجل يا أبله ولا ضل حيطه!" أستنتج أنها تتحدث كعادتها عن الزواج فأبادرها ضاحكة: "ضل حيطاني ولا أي ضل تاني، وضل أي حيطه أكيد ولا ضل جوزك". تطلق أم فاطمة ضحكة عالية وهي تزيل آثار الأتربة عن جدراني، وتذكرني بواقعة جاري المصور.

على مدخل العمارة، وقفت أمام جاري المصور الخمسيني محاولة إقناعه بما توصلت إليه مع سكان العمارة، يضيق عينيه في تركيز وهو يتأملني بنظرة فاحصة، تجاهلت نظراته واستمررت في حديثي عن الباب المفتوح الذي يدخل قطط الشارع ويتسبب في عدم نظافة السلم، يوجد إعلان واضح لمحل التصوير بالخارج، ويمكن لمن يقصده فتح الباب والدخول بسهولة، في الواقع لم يكن لديه زبائن من الأساس، يقضي ساعات معدودة مساء كل يوم في محله، يجلس لمشاهدة التليفزيون أغلب الوقت، خاصة البرامج الرياضية مع أصدقائه، ويراقب الداخل والخارج. أشاح بوجهه عني، وهو يعمل تفكيره قبل أن يغمغم بجملة لم أسمعها في البداية، ويبدو كأنه اكتشف مكمن قوته فجأة، وجد الجملة التي يمكنها إيقاف تلك الفتاة عند حدودها، الجملة التي ستمنعها من الحديث بالمنطق مرة أخرى،

فكررها بصوت مرتفع: "هاتيلي راجل أكلمه".

لمعت عيناه بالانتصار، وهو يسدد نظراته إلى عيني مباشرة، ربما انتظر انكسارًا ما، إعلانًا لهزيمة ما، لكن عيني خيبتا ظنه، لم يكن عقلي قد استوعب بعد ما يقصده هذا الرجل، كانت عيناي تتخذان رد فعلهما الفوري، اللاوعي أعطى أمره لعيني، وعيناي حدقتا في عينيه بذهول. اتسعت حدقتا عيني كأنني على وشك ارتكاب جريمة قتل، أحتاج إلى قدر من الإرهاب للضحية، ثوانٍ حتى استوعب عقلي تمامًا إشاراته وانطلق بهدفه عبر لساني بصوت عالٍ مثل صوته: "لو فيه حد بيصرف عليك هاتهولي أتفاهم معاه".

ثم أوليته ظهري وأطحت بشنطة يدي في حركة عنيفة، وأكملت حديثي بصوت مرتفع وعبارات تتضح بكل أساليب التعالي واستعراض القوة وأنا أصعد السلالم أمامه، مؤكدة أنني لا أهتم بالحديث معه، وأنني أقود عشرات الرجال من أمثاله، وأن ما قلته ما سينفذ، وأنني وأنني وأنني، حتى وصلت إلى شقة الجارة المتولية شئون العمارة، والتي فتحت باب شقتها وهي تضحك، قالت إنها لأول مرة تسمع صوتي مرتفعًا منذ انتقلت إلى شقتي، داعبت حفيدتها الوليدة بعد أن هدأت أعصابي المشدودة، اتسعت حدقتا المولودة وجدتها تضحك وأنا أقول لحفيدتها: "متسيبيش حد يقولك هاتيلي راجل أبدًا".

بالأمس، لم تكن رانيا الكوافيرة تتحدث كثيرًا وتضحك مع زميلتها

ياسمين كعادتها، أبديت إعجابي بلون شعرها الجديد، وهي تغسل شعري، محاولة جذبها إلى الحديث. رانيا عيناها منتفختان وحمراوتان، تسألها ياسمين عما ستأكله فترد بأن ليس لديها شهية، لم يمض وقت على صمتها حتى عادت لطبيعتها وانطلقت في الحكي. ضربها زوجها بسبب لون شعرها، يشك في أنها على علاقة بآخر لأنها صبغت شعرها بلون غير لونه المفضل، ويعتقد أنها فعلت ذلك من أجل عشيقها! زوج رانيا له علاقات متعددة وضبطته من قبل في شقتها مع صديقة لها وحين عادت إلى بيت أبيها خيرها بين العودة إلى زوجها أو الزواج من آخر بعد إتمام شهور العدة، قال إنه لن يتركها مطلقة بدون زواج! خافت رانيا من الزواج السريع برجل لا تعرفه و"بهدلة" ابنتها فقررت العودة إلى زوجها الخائن! ضحكت رانيا بمرارة: "بهدلة أبو بنتي بردو أحسن من بهدلة راجل غريب!".

أسمع القصة، ولا أفهم كيف يمكن أن تسرد رانيا تلك القصة بهذه البساطة وكأن تلك النهاية هي الحل المنطقي الوحيد! سألتها إن كان والدها لا يملك الإنفاق عليها، فقالت إن لا أحد ينفق عليها فلم تترك أباها ينفق جنيهًا واحدًا عليها أو على ابنتها حين لجأت إليه، بل هي التي تنفق على زوجها ووالدته! عادت رانيا إلى عبوسها وهي تتحدث عن تفكيرها في الانتحار لولا خوفها على ابنتها. حاولت أن أقنعها بالبحث عن وسيلة لترك زوجها وعدم العودة إلى أبيها، هذا ما عليها التفكير فيه. لم تكن الفكرة مطروحة من قبل بالنسبة

لها، هي التي عادت إلى زوجها حتى لا يزوجها والدها من غريب، فلا يجوز أن تعيش مطلقة في بيت والدها، فكيف يمكن أن تعيش وحدها؟! ظلت تردد وهي ساهمة: "ينفع أعيش لوحدي؟!" قلت لها: "أنا عايشه لوحدي".. صمتت قليلا ثم رددت كأنها تتعلم الكلمات: "أيوه ينفع لازم ينفع". تذكرت صديقتي التي تزوجت من رجل لا تحبه حتى تخرج من بيت عائلتها، وقالت: "لما هطلق هيبقي سهل أعيش لوحدي، وأنا بنت مش هيسيبوني أستقل"، هذا تفكير أب آخر في طبقة أخرى سيتركها كمطلقة لكنه لن يتركها وهي عذراء!

لا حرية هنا، لا حرية إلا في جنتي حيث يمكنني إضافة دبس الرمان على تتبيلة الفراخ وهو ما لا تحبه صديقتي التي تزوجت وطلقت وحصلت على استقلالها أخيرًا، هذا حدث منذ سنوات، وربما يحدث كل يوم. عادت، أيضًا، شهية رانيا للطعام، وأرسلت في طلب زلابية بالسكر، قالت إنها كانت تحاول الحفاظ على نظام صحي لتقلل وزنها وتغيظ زوجها الغيور الذي يحب السمينات، لكنها لا تستطيع مقاومة حلواها المفضلة حين يهاجمها الحزن، الزلابية بالسكر هي وسيلتها الوحيدة لاحتمال حياتها. استعادت رانيا مرحها حتى أنه لم يوقفها تأنيب ياسمين لها بسبب عودتها إلى زوجها الخائن بعد أن ضبطته مع أخرى مما سيحمله إلى أفعال أكثر قسوة، فأشارت

رانيا ساخرة إلى كدمة في وجه ياسمين، وقالت: "يعني دي وحمه ما انت لسه واخده علقه من المحروس حبيبك وبلعاله الزلط!" تركتهما تضحكان. كنت أعرف أنهما لن تتخذا القرار بسهولة، وربما لن تتخذاه أبدًا، لكن يكفي أن الفكرة سرت في عقليهما.

في الماضي كنت مكبلة بعبارة "مش هقدر، مش هعرف"، حين كنت يومًا في ورشة سيكو دراما، واستطعت الدخول في أعماقي في تدريب حول الخروج من الحفرة، كانت كل زميلاتي قد خرجن من الحفرة في لاوعيهن بطرق مختلفة إلا أنا، ظللت قابعة في مكاني أكرر تلك العبارة، لم أتحرك قيد أنملة، وقالت المدربة إن في أعماقي هناك حبالًا تقيدني، شكلتها تلك العبارة التي كانت تقولها أمي كثيرًا في طفولتي حتى تثير خوفي من التحرك بمفردي، لكن الحياة علمتني أن التجربة هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة وأن القدرة لا تتحدد إلا بها، وتجربتهما أيضًا ستدلهما على هذا الطريق، ربما لن تنفذا الفكرة، لكن التيار الذي سرى سيسهل الطريق على بناتهما في يوم ما، ابنة رانيا ستجد مَن يعرف أنه يمكن أن تفعل ما تريده إذا أيقنت أنها تستطيع.

لا أعرف ما الذي قاد تفكيري إلى تلك المنطقة الخانقة؟! هل أحاول الكتابة في التنمية البشرية مثلا؟! مجرد التفكير يثير سخريتي فأنا هنا كي أنفض عني كل الأعباء، لا أفكر إلا في أن الأغنية التي

اختارتها إذاعة الأغاني اليوم: "رق الحبيب"، وأنه لا يليق بها الفراغ المتبلة، وأن عليّ إعداد وجبة مكرونة بالخضروات. يثير هذا الخاطر ضحكي، أيضًا، إلا أنني أنفذه بلا تفكير، ألقي قليلا من الثوم على قليل من الزيت والتوابل المفضلة، أكثر من الجنزبيل فتملأ رائحته أنفي، ألقي عليها البصل الشرائح حتى تطرى ثم الكوسة والفلفل الألوان والجزر، أنتظر أن تزهو الألوان في حديقتها الساخنة، في نفس الوقت يكون الماء المغلي قد استقبل المكرونة وطوعها حتى لانت واستعدت للسباحة في بحر الألوان.

7

تفرش فستانها الأسود فوق كنبتي الخضراء، تمسك بين كفيها فنجانًا أبيض مرسومًا على حافته ورود صغيرة حمراء ووردية، تحتويه بشغف محب وحنو أمومي، أهدابها السوداء الطويلة معلقة كأنها تستعد للطيران فوق عينيها المتسعتين ومقلتيها على وشك القفز بين الأشكال السوداء المتناثرة داخل الفنجان، بينما أربعة أزواج من العيون مثبتة داخل الفنجان الصغير. فناجين القهوة، السبرتاية، البخور وأدواته، لوحة خيامية لقطة ملونة تلوح لي بيد واحدة؛ هدايا صديقاتي الأربع. أجاور ثلاثًا منهن في الجلوس على الأرض نستند على حواف الكنبة الخضراء، أو على فخذي صديقتي قارئة الفنجان، بينما مروحة سقف بيضاء تدور ريشاتها فوقنا بصوت خافت، ونجفة زجاجية صغيرة عليها آيات من سورة النور تشبه

مشكلوات المساجد، تتدلى من السقف المجاور بضوء شحيح، تكتمل بقع النور عبر أباجورة نحاسية طويلة منحوتة بمنمنمات هلالية ونجمية، يتوزع منها الضوء حولنا، ورائحة البخور تملأ الفراغ، فتبدو صديقتي كساحرة خرجت من أحد الكتب القديمة التي تواجهنا فوق رفوف مكتبتي.

قالت إن هناك رجلا أسمر نحيفًا يصطاد على حافة بحيرة، وانني أتطلع إليه، ولا تعرف إن كان ينظر إليّ أو إلى الأفق من ورائي، أشارت إلى الرسومات السوداء التي تتوزع داخل الفنجان الأبيض، كنا ندخل أنا وصديقاتي داخل الفراغ، نجلس بجوار الصياد، نسأل عن تفاصيل أخرى مرسومة في الفنجان، مع الوقت تحولت أسئلتنا من الفضول إلى السخرية، لنبدد السكون، مع صوت دوران المروحة، ونضحك، لقد تجمعنا للاحتفال بالشقة الجديدة، وليس للتفكير في هذا النحيل الذي ينتظر عند البحيرة. خبطت ذات الرداء الأسود الفنجان في الأرض وأقسمت الا تقرؤه لنا مرة أخرى، فعلتها مرة من قبل، حين كنا نجلس معًا على مقهى، وكانت تحكي عن قدرتها السحرية التي ورثتها عن جدتها، عن الطاقة السلبية التي تنتقل إليها حين تخرج من الفنجان أسراره السوداء، عن الرموز والرسائل التي تحملها الرسومات، يومها قالت إن فنجاني ممتلئ بالتفاصيل، ورفضت أن تخبرني بما هو مكتوب، وكانت قطة تتمسح في قدميها، تقول صديقتي إنها تمتص طاقتها السلبية، كانت القطة تتشممها كأنها

تقوم بواجب قومي، وما لبثت أن جلست جانبًا ونامت بعمق، بينما صديقتي تستعيد نشاطها وتقول إن القطة نجدتها من الصداع والألم الذي تسرب إليها عبر فنجاني.

تخبرنا إحداهن بنبأ سعيد، فهناك جنين بين أحشائها بعد طول انتظار، نهنأها ونحتضنها في صخب، أضحك وأنا أخبرهم بأن جنينها هو الأسمر النحيل الذي ينتظرني وأنتظره، أتركهن في حالة من البهجة يحاولن اختيار أغان مناسبة للرقص، أدخل غرفة نومي حيث يلعب ابن إحدى صديقاتي ذو الثمانية أعوام على التابليت، يحتضنني ويسألني أن ألعب معه، فأعلمه لعبة خيال الظل، نغلق الأضواء ونكتفي بضوء أباجورة ونحرك أصابعنا أمام الحائط تدخل صديقاتي، ويشاركن في تمثيلية الظل والنور، تتداخل الأشكال على الحائط تخرج الأشكال من خيالنا عبر أصابعنا، تصنع أخيلة تشبه رسومات الفنجان، نتحدث في نفس الوقت، تختلط أصواتنا ونحن نؤدي أصوات الكائنات الخيالية، ونتصارع مع الوحوش.

8

في أول يوم جمعة لي في هذا البيت، سمعت طرقات حادة على الباب قبل موعد صلاة الجمعة. قضيت الليل ألاعب نفسي خيال الظل على الحائط. أعرض مسرحية الوحش في كهفه، بعد أن أغلقت مفاتيح الكهرباء في غرفتي لأول مرة. كنت أترك أنوار الكهرباء خلال الأيام الأولى لإقامتي بالمنزل، أما في ليلة الخميس فقد اكتفيت بضوء الأباجورة، بعد أن اعتدت على المكان وقلت مخاوفي. أحكمت غلق أقفال الباب من الداخل، لذلك أخذت وقتًا في فتح الوصلة المعدنية وكذلك المزلاج الحديدي، بعد أن سألت مَن يطرق الباب وعرفت أنه جار في الدور الأخير. ألقى السلام وقال إن ابنه الشاب الذي عاد بالأمس في الثالثة صباحًا وجد المفتاح في قفل الباب من الخارج، ولم يرد أن يزعجني لكنه خاف أن

يستخدمه شخص ما فصعد به وتركه لأمه. كنت محرجة جدًا، ولم أعرف ما يجب أن أقوله فشكرته وطلبت منه أن يشكر أحمد ابنه، كما ذكر اسمه. استأذن ليلحق بالصلاة. أغلقت الباب وأنا ما زلت ما بين النوم واليقظة. غسلت وجهي ووضعت البراد على النار وجلست لأستوعب ما حدث ثم ضحكت بشدة، وأخذت أفكر فيما يجب عمله حتى لا يتكرر هذا الأمر، قالت صديقة إن هذا كان يحدث لها كثيرًا في بداية إقامتها في أي بيت جديد، كأننا لم نقتنع بعد بملكيتنا للمكان، لا نهتم بالنسيان لأن شريكًا آخر يمكنه إعادة المفتاح ببساطة، شخص ما سيتفقد مكان المفاتيح. علينا أن نقتنع أننا نعيش وحدنا، ولن يصحح أحد أخطاءنا القاتلة. كنت أفكر، كيف أكون بهذا الحذر إلى حد التحرك في البيت كله قبل النوم للتأكد من مفاتيح البوتوجاز والغاز ووصلات الكهرباء وإغلاق الأقفال، ثم بمنتهى البساطة أترك المفاتيح في قفل الباب من الخارج!

لم تكن المرة الأخيرة، وكان أحمد الذي لم أر وجهه متواطئًا معي، لم يعد يصعد بالمفتاح لأمه كما فعل أول مرة، بل صار يطرق الباب وينبهني بصوت منخفض من خلف الباب المغلق، "إنت ناسيه المفتاح في الباب"، ثم يصعد في هدوء، وصرت أفكر في وسيلة للانتباه للأمر. أهدتني صديقة حافظة مفاتيح خشبية تعلق بجوار الباب حتى أتذكر وضع مفاتيحي بها عند دخولي، ساعدتني كثيرًا فحين أراها أمامي أتذكر ضرورة إلقاء نظرة للتأكد من مكان

المفتاح وأبحث عنه لأضعه بداخلها، لكنها لم تمنع تكرار النسيان مرة أو مرتين، بعدها لجأت لوضع كم كبير من الميداليات التي تثقل حجم المفاتيح فيصبح نسيانها مستحيلا.

- لم أعد أنسى المفاتيح في قفل الباب فالأشياء الثقيلة لا يمكن نسيانها.

- ستعتادين على ثقلها وتنسينها من جديد.

ضحك سمير وجسده كله يرتج، لكزته على كتفه، فازداد ضحكه، لم يتوقف جسده عن الحركة حتى وهو يقول:

- من تأثير الست ولا من تأثير الحبيب المجهول؟

- قبل أن أعرف الحبيب المجهول.

- لقد وصلتِ إلى محطة ثومة متأخرة.

- لقد وصلت إلى الحياة متأخرة لكنها الحياة ولا أحد يستطيع أن يتجاهل محطاتها.

- لا تتبعي أثر أغاني الست فلم تعد تجدي، لم أعد أحب سماعها ولا أصدق أغانيها.

- لذلك لم تتوقف عن الالتفات تجاه تلك الفتاة التي تترنم بأغنيتها.

يعود إلى الضحك قائلا:

- تعجبني عيناها لا أكثر.

كانت فتاة في العشرينيات من عمرها، تضع مكياجا مبالغًا فيه ويبدو أنه من منتجات رخيصة، يرافقها رجلان يرتديان ملابس رسمية عتيقة، ويحملان أدوات موسيقية؛ "رق وعود". جلسوا بجوارنا في محطة المترو وكانوا يتحدثون بصوت مرتفع. سألت الفتاة أحد الرجلين عن إمكانية حصولها على تلك الفرصة، من حديثهم استنتجنا أن الفتاة اسمها منال تغني في إحدى فرق الموسيقى العربية، وأن الرجلين زميلاها في الفرقة، وأنهما يصحبانها لمتعهد حفلات كي تغني في الأفراح أو ما شابه، وأنها تتطلع لذلك وتعتبرها فرصة لا تعوض، ويبدو أنها لم تغنِ سولو من قبل، وكانت جزءًا من الكورال وكان الرجل الآخر يداعبها ويطلب منها الغناء كي تخفف من حدة توترها، فبدأت تدندن بأغنية "أروح لمين؟" محاولة تقليد صوت الست، فبدت كمونولوجست رغم صوتها القوي.

سألني سمير: بالمناسبة.. وإيه حكاية الحبيب المجهول؟

عاد صديقي الأقرب من مهجره بعد خمس سنوات، لم تتوقف الاتصالات والرسائل بيننا خلالها، وكان متابعًا لخطواتي، نغيب عن بعضنا البعض فترات طويلة ثم نعود لإرسال الرسائل واستكمال الحوارات كأننا لم نغب عن بعضنا أبدًا. أرسلت إليه ما كتبته عن

بيتي، تحدثت معه عن بدايات مشاعر تتكون بداخلي، عن حب يضوي تحت سماء أغاني أم كلثوم التي أعدت اكتشافها مع وجودي في البيت. استأجر بيتًا على بعد محطة مترو واحدة من بيتي. الطريق من وسط البلد حيث نتقابل على المقاهي حتى البيت، محطات مترو وحوارات مباشرة، كأننا نستكمل حوارات الشات والرسائل الإلكترونية طوال الطريق.

- لن يفيدك في شيء معرفة اسمه فأنت لا تعرفه على كل الأحوال وربما لن تعرفه أبدًا.

- هــي قصة لن تتم إذن! فكيف بدأت وأنا أعرفك منذ عشــرين عامًـا، وأعرف أنــك لا تقعين بسهولة، تبحثيــن عن الحب وحين تشــعرين به تتجاهلينــه، ترغبين في السيطرة علــى عالمك دون دخيــل، ولا تثقين في الرجال. آخر مرة اعترفت فيها بمشــاعرك كانت منذ ثماني سنوات تقريبًا، وفي نفس الجملة التي قلت فيها إنك تحبين قلت إنه مجرد وهم، وإنكما مختلفان تمامًا، فما الذي يجعلك اليوم واثقة هكذا؟!

- اعتبرها "كلمة ونظرة عين والقسمة وياهم" وانتهت قسمتهم عند تلك الحدود.

جاء القطار وركبنا جميعًا، أنا وسمير ومنال وزميلاها، كنت

ساهمة كانني افكر فيما قاله سمير بينما بدأ صديقي في موجة من المرح، وسأل منال أن تكمل الغناء، وطلب منها أن تعيد جملة "كلمة ونظرة عين والقسمه وياهم" بأكثر من طريقة طوال الست محطات القادمة حتى نزولي من المترو، بدا كطفل يشارك في لعبة. وجدتني أكمل حواري معه، كما كنا نفعل على الشات، فربما تمر أيام أو اسابيع، قبل أن يرد أحدنا ويكمل حوارًا سابقًا، وكان هذا طبيعيًا جدًا ولا يوقف الآخر.

- ما زلت لا أثق بكم لكني صرت أكثر ثقة بنفسي، ولا يهمني سوى ما أشعر به الآن، ولا أعرف كيف كانت البداية، فلم يكن هناك شيء خاص بيني وبينه، كل شيء حدث فجأة، كأن سحرًا ما مسني.

- سحر ما مسني! يمكن أن أدفع كل ما أملكه مقابل أن أمر بهذا الشعور يومًا.

- ربما الأمر أبسط من كل هذا، ربما أحتاج أن اكتب كي أفهم.

- فلتكتبي إذن ما الذي يمنعك؟!

تحمست منال وبدأت في إطلاق الآهات، وأخرج زميلها الرق، وبدأ ركاب المترو في الانتباه حين انطلقت المطربة الصاعدة في غناء ذات الجملة كأن أم كلثوم قد تجلت على المسرح، اقترب الواقفون من مكانها وبدأ بعض الجالسين في الترنم معها، كانت تنطلق في غناء

كوبليهات أخرى ثم تتذكر تحدي سمير لها فتعود إلى نفس الجملة ويساعدها عازف الرق في تغيير طريقة الغناء من وقت لآخر.

وصلت إلى محطتي حيـــن مال سمير على أذني ليقول بصوت درامي: "تستعد منال للوقوع في الرذيلة على طريقة الأفلام العربي القديمة، وحوشــــي دموعك يا منال، وليالي العمـــر معدودة، بينما تعيشـــين أنت على طريقة الأغاني العربي القديمة، وتذرفين الدمع على أنغام حيرت قلبي معاك ورق الحبيب.. يا أهلا بليالي القاهرة الساحرة".

نزلت من المترو وأنا ما زلت أضحك، أشرت إلى منال بعلامة النصر، فبادلتني الإشارة وأكملت تجليها. طفل صغير يرقص على إيقاع عازف الرق ودعني بقبلة على خدي، وقبل أن يكمل المترو طريقه أشار سمير إليّ من نافذته، وقال لي وجسده ما زال يرتج من الضحك:

- لا تنسي المفاتيح في قفل الباب من الخارج، ولا تتركي قلبك لعبة في يد ثومة!

كنت خفيفة، أنزل على السلالم المتحركة كأنني أسابق حركتها، وأكاد أطير حتى منزلي. أترنم بالكوبليه الذي تحدى سمير منال به، وكأن صوتي هو صوت الست، وكأنها تغنيه في كل مرة

بطريقة مختلفة، مرة كأنها تتوسل، ومرة كأنها تتوعد، خمسين مرة بألف طريقة وألف معنى، وأنا على سريري أرسلت لسمير عبارة: "جميل أنك هنا" قبل أن أنتفض حين هاجمني السؤال: هل تركت المفتاح في قفل الباب من الخارج؟ استكنت حين لمحت طرف الميدالية خارج شنطة يدي، وكان صديقي قد أرسل رده: "أنا هنا دائمًا من أجلك".

9

تغني الست "حيرت قلبي" وأدير معها حوارًا شبه يومي، أحكي لها عن جدوى الشكوى، عن معنى البوح، وعما تفعله تصوراتنا عن "عزة النفس" وكم يضيع من الوقت في تلك الحيرة! أنصت إليها أكثر وهي تعيد نفس القصة القصيرة في مقدمة أغنيتها، قصة تقليدية ومكررة إلى حد ممل. أنتظر أن توضح فكرتها أكثر في كوبليهات أخرى. أن تنظر للحكاية من زاوية مختلفة، تنعت حبيبها بالقاسي، دعينا نفصل الموقف أكثر؛ ربما لا يعلم ما تشعرين به وهو احتمال ضعيف، المشاعر التي تطل من عينيك كما تقولين لا تسمح بذلك، إذن هو يتلاعب بمشاعرك، فلنقل أنه متبلد، ها نحن نفرغ شحنة غضبنا فوق رأسه، إذًا هو قاسٍ أو متبلد؟! أليس هناك احتمال ثالث سيدتي! ألا يحتمل أنه فقط لا يحبك وغير مبالٍ، ألا ترغبين في وضع هذا

الاحتمال في قائمتك؟! فماذا يضيرك إذا واجهتِ الموقف بشجاعة وعبرتِ عن نفسك ووضعت نهاية لحيرتك! أيًا كان رده سيكون شافيًا سيخرج "الحبيب المجهول" من اللعبة، ستحسمين أنت موقفك مع ذاتك وتدركين مدى قوتك، ستكملين الأغنية بروح متصالحة مع الحياة فهي لا تستحق كل هذا العناء على كل الأحوال، فلنكتب له رسالة معًا، أعرف أنه لن يجيب، لكنك مثلي يا ثومة، ربما لم تعودي تبالين، بما يفعله أو لا يفعله. حبيبك يا ست لم يعد على قيد الحياة، حبيبك كان يكتب من أجلك ما تغنينه، كان يحاول قتلك على الورق وكنت تنحرينه قربانًا لفنك على المسارح، دعيني أنا، أيضًا، أواصل سماع صوت الرصاص المنطلق كلما نقرت على لوحة المفاتيح، دعيني أتحدث إلى حبيبي المجهول كما لقبه صديقي.

أمر من تحت مكتبك. أخرج المحمول من حقيبتي. يدي تتجمد عند اسمك. أتذكر أنك لم تعد تهتم فأتحرك نحو مكاني المفضل الذي يجاورك. أقرر إرسال رسالة، أفتح الرسائل بيني وبينك وأقرأ عبارة في آخر رسالة أرسلتها إليك "التجاهل مؤذي أكثر من الرفض"، هذه الرسالة موجهة إليّ وليس إليك. هذه الرسالة تعويذة سحرية تقيني شر جنوني. تمنعني من مراسلتك مرة أخرى، فكيف سأرسل إليك تلك الرسالة وأقاوم كل هذا الألم وأنسى كل هذا الأذى؟! ربما يومًا سأحطم تلك العبارة مثل أساطيري. أمسحها من بين الرسائل المتبادلة كي أملك القدرة على مراسلتك من جديد.

لا أعرف كيف اخترقت سياجي وقشرت تلك الطبقة الصلبة التي أحيط هالتي بها؟! كيف وقد كنت بكامل قوتي. قابلت الوحش حرفيًا وهادنته، ونعمت بالسلام لأشهر في مساحة صغيرة. أخطط فيها لحياتي وحيدة ما تبقى من عمري. أكتشف جوانب سخية في تلك الوحدة التي اخترتها بإرادتي، حياتي بسيطة وتفاصيلي تملؤها، اقترب أو أبتعد عن العالم وفقًا لرغبتي. لا أحد يتحكم في مزاجي أو ينتقص من فرحتي أو يشوش على حزني. أعيش كل لحظة حتى منتهاها بإيقاع يخصني.

نظرة جانبية، ألقيتها منذ عام تجاهك وأنت في الجهة المقابلة، تسير بين صديقاتك. نظرة جانبية منك، أيضًا، تجاهي. نظرتان تتلاقيان في لحظة. تهبان حياة لنغزة في القلب، لفرحة ولهفة ورغبة، لكل ما كنت أقاومه كي أتحكم في حياتي. مجرد نظرة جانبية تهب الحياة لتعلق لا أفهم معناه، لجملة لا أستطيع الفكاك من إيقاعها، أرغب في رؤيتك، "عايزه أشوفك، أنا لسه عايزه أشوفك"، تعلق طفولي وأنا على مشارف الأربعين.

- لم أرك اليومين الماضيين.

سؤاله حدد شكل العلاقة منذ البداية. رجل لا يحب الجلوس في مكاتب زجاجية. تقلقه فكرة الكشف، أن يكون مرئيًا.

- رأيتك منذ يومين ويقينًا رأيتني.

ردي الصريح الواضح يربكه. يكشف من البداية عن فتاة لا تعرف المواربة. كان يعتقد أنني سأشاركه في اللعبة؟ ادعي أنني لم أره أيضًا! لم يكن أمامه إلا أن يقول:

- كنا متعجلين فلم اعتبره لقاء.

ارتباكك يؤكد أنك تعرف ما فعلته نظرتك في اللقاء العابر الذي أنكرته منذ قليل. الحوار يعبر عن طبيعة علاقتنا فيما بعد، عن كل المحطات التي سرنا فيها، أو سرت فيها وحيدة، بينما اكتفيت أنت بما وصلت إليه نظرتنا الجانبية العابرة.

ليست هناك أحداث كبرى في الحياة، هناك دومًا تفاصيل. تدور حول بعضها البعض، تتشابك، تتعقد، فلا نستطيع أن نرى "كان" بمعزل عن أخواتها. نضطر إلى التعامل معها ككتلة واحدة. تفقد التفصيلة ملامحها الأولى، خفتها وبساطتها وهشاشتها. تسير فردًا في كيان أكبر، ربما ننسى كونها مجرد تفاصيل، ونختنق تحت هذا الركام المبالغ فيه. أريد أن أقفز الآن وأتعلق في بداية أول تفصيلة، أشدها وأربطها ككرة صغيرة وأضعها جانبًا، وهكذا، يمكنني أن أفكك التفاصيل بعيدًا عن بعضها البعض. لن تعود إلى صورتها الأولى، ستتكون كرات صغيرة، يمكن أن أميزها من ألوانها، ستتشكل بحرية وفقًا لتقديري للأمور في تلك اللحظة، فلا أملك آلة زمن تعيدني إلى لحظة خلقها الأول، لكن الكيان الكبير أصبح أقوى من سيطرتي،

يخفي بدايات الخيوط داخل ثوبه الأسود، يصبغ مناطق ظهورها بدرجات ألوانها، فيصعب العثور على الخيط يصعب فصله عن محيطه، ماذا أقول؟ محيطه! هل أقنعني هذا الكائن البشع أن تفاصيلي الصغيرة جزء من محيطه! لم تعد ملكي؟ ولم يعد بإمكاني استعادتها فرادى قبل أن يخنقني سارقها! هل صدقت حقًا أن كائن الصدفة القبيح يحرك خيوط حياتي بعد أن اختلس كل تلك التفاصيل وحاكها بين خيوط ثوبه؟!

مر علم، وأنا أبعد قلبي عن مدارك. أتورط أكثر في تفاصيلي. أنحت مسارات بعيدة عنك. أواصل السير وراء أساطيري؛ ما دمت قد قررت قطع الشرايين والأوردة بيني وبينك فلا أريد أن أراك. أسير من أمام مكتبك وأصل إلى أماكن مفضلة تجاورك ولا أصادفك. أذهب إلى أماكن ترتادها ولا أقابلك. إنه كائن الصدفة الجالس على أريكتي الخضراء يحرك عصاه السحرية فيضبط إيقاعنا بعيدًا عن بعضنا البعض، يعطل سيارتك أو يبطئ حركة المترو. إنها سيارة أخرى تعطلت على الطريق فأوقفت المرور أو صبي عنيد يفتح باب المترو عنوة حتى يتمكن رفاقه من اللحاق به. تعرف، بالأمس كان طريق صلاح سالم متوقفًا تمامًا يقولون إن تشريفة ما مرت من هناك، أو إن حدثًا كبيرًا تسبب في الزحام، في الحقيقة كنت أظن أن كائن الصدفة هو مَن فعل ذلك حتى لا تصل إلى المكان الذي نتردد عليه ونتقابل عند بوابته، هذا الكائن العالم بالأمور يعرف أنه

لو لم يحدث ذلك وتقابلنا في تلك اللحظة لكنا انهزمنا أمام الوحش سويًا، ولم أكن لأستطيع مهادنته مرة أخرى، وكانت فتاة في عربة السيدات تمسك ضلفتي باب المترو في محاولة لإنزال رجل سخيف، كان يلمح إلى أن الفتاة التي بدأت الاعتراض على وجوده في العربة غير محجبة، فما الذي يجعلها تعترض على وجوده، إنها مشاع بالنسبة له! كنا جميعًا في العربة متعبات، وبدأت السيدات تتذمرن في محاولة لإقناع الفتاة العنيدة بالاستسلام، في حركة آلية انضممت للفتاة، وأمسكت إحدى الضلفتين بدلا منها، في الواقع لم أتحرك من مكاني، كنت جالسة بجوار الباب فمددت يدي ببساطة ومنعت انزلاق الضلفة نحو الأخرى. نظرت إليّ الفتاة، كانت متعبة مثلي وملامحها بلا أية انفعالات مثلي أيضًا، كأننا لسنا أحياء ومع ذلك نحافظ على حقنا في الحياة! إنه كائن الصدفة يا عزيزي قد تحور وتبدلت ملامحه ليصبح فتاة تشبهني في عربة السيدات، كل هدفه ألا أصل في وقت وصولك.

أراك تضحك وأنت تقرأ الفقرة السابقة، ربما تضحك وأنت تقرأ كل الفقرات، لكن الفقرة السابقة تحديدًا ستثير سخريتك، ستقول تصلح تلك اللقطات للكتابة، لكن هل تؤمنين فعلا بها! تستنكر مثلما استنكرت إعجابي بفيلم "تحدث إليها" تسألني بنظرة جانبية: هل بالفعل تصدقين إمكانية ذلك؟ تقصد أن يجلس محب بجوار حبيب فاقد للوعي ولا يسمعه، أن تمر الأيام وهو يجلس بجوار مَن يحب

ليحدثه فقط لعل كلماته تعيده إلى الحياة؟ نعم يمكن، ألم تجُب إيزيس أنحاء مصر لتجمع أشلاء أوزوريس وتعيده إلى الحياة! في الحقيقة كنت غبية كالعادة في كل لقاءاتي بك، نعم غبية، فلم أقلها بقوة، فقط تمتمت بالجملة: أبوه مؤمنة.. أبوه ممكن، ربما لم تسمعني أو تراني لأنك سحبت نظرتك الجانبية كالمعتاد، أنك لا تؤمن بذلك، أعرف أنك لا تصدق كل هذه الأساطير. كائن الصدفة والحب الكائن بداخلنا، حب ينبع فجأة تجاه غرباء مثل هذا الممرض في الفيلم الذي أحب فتاة لا تعرفه، فتاة يراقبها عن بعد، ورهن حياته لكي يحافظ على حياتها. أنا، أيضًا، أحاول أن أكف عن إيماني بتلك الأساطير. أتوقف عن متابعتك، عن متابعة الغرباء.

10

مات نبات البوتس اليوم. في الحقيقة هو ميت منذ أسابيع لكنني كنت أصارع معه من أجل الحياة، أسقيه وأنظف أوراقه، أحاول أن أنقل إليه حبي عبر اللمس، اللغة الوحيدة التي يفهمها منذ جلبته إلى بيتي. كنت أحلم به منذ انتقلت إلى شقتي الجديدة، وكان رفيقي الحي الوحيد، أحببته من أول نظرة.

عقدت العزم على الذهاب إلى مشتل بعينه لشراء نبات ظل، وفي طريقي وجدت مشتلًا آخر صغيرًا، لم ألحظه من قبل، يطل من زجاج فاترينته كائني الجميل، كأنه يناديني، بخضاره المنعش. لم يكن يشبه من يجاورونه. دخلت إلى المحل وبدأت في تدليله، لمست أوراقه بأصابعي العشر، وأسررت إليه باسمه "بو".

لا أعرف لماذا يرحل "بو" الآن بعد احتماله لوجوده معي كل

تلك الأشهر؟! هل يشعر أنه لم يعد كافيًا في حياتي! هل أهملته دون أن أدري؟ لم تنجح كل محاولاتي لإنقاذه، وذبلت كل أوراقه، وكان عليّ اليوم نزع كل الأوراق الميتة، والغصون الفارغة، لكنني أعدت نبتة صغيرة يبدو فيها أثر من الحياة، وغصنًا يحمل ورقتين تستندان إلى بعضهما البعض، خيل إليّ أن هناك رغبة في الحياة تسري في عروقهما، وأنهما تستجيبان للمساتي.. كمن يستنجد بأمه! غرستها من جديد، وساويت التربة بعد أن دفنت فيها بعضا من الأوراق الجافة، جمعت بقية الأوراق والغصون وفكرت كيف يمكنني دفنها؟ اخترت كيسًا ملونًا ووضعتها فيه، وبدأت رحلة البحث عن مقبرة أخيرة لما تبقى من الجثمان، هل أحرقه كي يولد في حياة أخرى في جسم كائن آخر، ماذا عساه يكون هذا البوتس المسكين؟ هل يمكن أن يقوده قدره إلى العودة في جسد إنسان! ربما لن يكون ذلك مصيرًا بشعًا فيكفي أنه سيملك لسانًا ليعبر به عن أوجاعه. لن تتحكم فيه إنسانة مثلي لا تفهمه، لن يظل يحتضر أمام عينيها دون أن تفهم ما يريده، ربما لم تمنحه الحب الكافي! ولكن ماذا إن عاد في جسد إنسان لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم؟! إنسان يعاني من الملل والوحدة والغضب والرغبة، إنسان يعيش على أرضنا مثلا وتتنازعه كل تلك العقد والتعقيدات والغموض!

في بيت طفولتي، كنت أزرع نبتة فول في قطنة داخل علبة بلاستيكية، كجزء من النشاط المدرسي. كنت أنظر إلى النبتة الصغيرة

التي تكبر سريعًا، وتخترق تربتها البيضاء بتقديس. أبلل تلك التربة التي صنعتها بنفسي كلما جفت. هذا الفعل الممتع أشعرني بإثارة من نوع ما. هذا الكائن الضعيف يعتمد على رعايتي، بدونها لن يكتب له الاستمرار في الحياة. كنت أعرف قيمته. الورد الاصطناعي الذي تضعه أمي في الفازة لا يحتاج إليها، حتى الماء الذي يرش عليه من أجل تلميعه، مثله مثل الزجاج، يمكن أن يظل موجودًا دون الحاجة إلى وجودك، حين ذهبت مع صديقتي إلى مزرعة أسرتها أدهشني هذا الخضار اللامع، في العاصمة حيث التلوث، لا تلمع الأشجار مثلها في غابات الأفلام الأجنبية. الأشجار في شوارعنا كأنها تلفظ آخر ما فيها من خضار، ولا تزدهر ألوان الأزهار كما يليق بكلمة "حديقة" كما درسناها في المدرسة. الأخضر في طفولتي لم يكن يشبه أحلامي الملونة.

لم تلفت نظرك أبدًا تلك الشجرة، كنت مشدوهة بها، كأنها خرجت من حلم قديم. خضارها لافت وكأنها ليست مزروعة في تربة تلك الأرض، إنها شجرة غريبة، تختبئ بين أغصانها الأساطير، كنت مشغولا بالزحام من حولك، ولم تهتم بالشجرة التي أسرتني كأن عشي بين جذوعها. أكاد أطير لأختبئ بين أوراقها الملتفة حول بعضها البعض. شجرة عجوز وفاتنة، وطفلة أجنبية تلعب فوق كرسي خشبي، تستمع إلى محاضرة لا أنتبه إلى ما يقال فيها، وعيناي وراء الزجاج حيث الشجرة العجوز، والطفلة تتحدث إلي

بلغتها، ربما تحدثني عن الشجرة الغريبة مثلها، بلغة الأرض التي اجتثت منها يومًا، لتزرع في الحديقة الخلفية لهذا المكان الذي صحبتني إليه. أنا مأخوذة كليًا إلى خارجه، بينما أنت مشغول بما يدور في الداخل.

أتعرف أنك في ليلة مقمرة ساعدتني على تحطيم أسطورة كائن الصدفة! ليلة ظهر فيها الوحش مرة أخرى ودرت معه في دوائر حول النيران ولم ينتصر ولم أنتصر بالتالي فلم ينهزم أي منا، كنا نجلس بجوار النار معًا مستسلمين للواقع. كان الوحش يتحاشى النظر إلى عيني، حتى لا يرى أثر قسوتك منعكسًا على مقلتي، كنت أحكي للوحش عنك، وكنت أخفف عنه، أخبره أنني لن أنكسر بعد الآن، ولن تصب الهزيمة سوى الأساطير.

11

فلنترك أساطيري جانبًا قليلا ولأحكي لك عن ماضٍ أبعد من أسطورتي معك، ربما لا يعدو ما سأحكيه لك كونه مجرد وهم آخر أنجته الذاكرة من مقبرة الشك واعتبرته حقيقة، هل يمكن أن تتحول كل أساطيري يومًا إلى واقع مثل تلك الواقعة البعيدة التي قادتني إليك؟ نعم فكل الحكايات تقود إلى هذا الفصل، كل ما حدث في الماضي هو بداية الخيط لتلك اللحظة، كنت في الخامسة عشر من عمري، حين زارني كاتب صديق لوالدي، لم أبكِ أبدًا بعد وفاة والدي، اكتفيت بالصمت كأنه وصل بيني وبين الموتى، نصحني كاتب الأطفال بالكتابة، قال إنها ستشفيني من الصدمة، لكنني لم أكتب، كأنني لا أرغب في الشفاء، أريد أن أظل موصولة بالموت، أليس هو مكان السكون؟! ظللت في غيبوبة لسنوات، منفصلة عن

الحياة وقريبة من الموت أكثر. الحياة تسكنني اليوم، هكذا قررت منذ سنوات، لكنها اليوم أكثر وهجًا، كأنها قررت الغناء والبكاء والرقص والثورة. قررت أن تعلن عن وجودها، اليوم أكتب لأني أعيش الحياة التي تموج بداخلي، ولن تسكن من جديد إلا إذا توقفت عن الكتابة. مَن يعرفني يدرك أنني ألتقط الأفكار والمشاعر وأظل ساكنة. أتركها تتشابك وتتفاعل فيما بينها ربما لسنوات، حتى تصعد بين السطور متنكرة في ثياب أخرى، بعضها لا يشبهني، وبعضها الآخر يأخذ مني روحًا ويهبها لآخر. لا أجيد الكتابة على الهواء، ونثر الواقع بين السطور. مَن يعرفني يعرف أنني بعيدة تمامًا عن قصص الحب، لن تجدها في نصوصي سوى لماما، كأنها لقطة مهزوزة لحدث لم يقع بعد. من قرأ لي يعرف أن الرجال في نصوصي مشوهون، وغير جديرين بالثقة، لكنني اليوم أضرب بأساطيري عرض الحائط. أكتب عن الحب ولا يهمني إن كنت جديرًا بالثقة، ربما مهادنتي للوحوش جعلتني أقوى وأكثر ثقة بنفسي، وبمشاعري. أبثك إياها دون خوف، لكنني أعرف ما يمكن أن يقود إليه الخوف. أعرف تلك الطبقات التي ننسجها حولنا، كي نحمي ما وصلنا إليه من سلام، كلما حاول أحدهم الاقتراب من جدارنا العازل قاومناه، أفهمك لأنني كنت مثلك.

مر عام وستة أشهر على أول مرة أغلقت فيها بابًا على وحدتي المعلنة. مر عام على أول مرة أدركت فيها حبي لك. مر شهران

على آخر محادثة بيننا. مر شهر على آخر رسالة أرسلتها إليك. مرت ساعات وأشهر وسنوات من عمرنا، ونحن نقف عند حاجز ما. مر كل هذا الوقت على تسليمي بأنك لست هنا، وقراري بنسيانك. تركت نفسي لزحام الحياة، العمل والكتابة والتخطيط لأشهر قادمة، الأصدقاء والهوايات والاهتمامات الجديدة. هل تعرف أني أصبحت مهتمة بعلم الفلك؟ لا تعرف فقد حدث ذلك منذ أسابيع معدودة، لكنك تعرف ما يحدث لي في الليالي المقمرة، أنا المستذئبة التي تثيرها استدارة البدر وتعاليه، فتقضي ليال موحشة، بينما لا تستوقفك مثل تلك الأشياء.

قلت لي يومًا إنك لم تلحظ ظاهرة فلكية تحدث الجميع عنها، وأثارت أعصابي لأيام. كان القمر قريبًا من الأرض، وواضحًا إلى حد مدمر للأعصاب، كنت أدور حول نفسي مثل وحش جائع، ربما كنت أمتلك القدرة في هذا اليوم على العواء كذئب جريح.

اليوم الذي قررت فيه تحدي أسطورة كائن الصدفة كان القمر مكتملا، أيضًا، لكنه كان مختنقًا خلف ستار برتقالي. لم يكن لونه رائقًا، لكنه كامل الاستدارة إلى حد مزعج كعادته في مثل تلك الأيام من كل شهر. لا أعرف لما يغازلون الجميلات بوصفهم بالقمر. يزعجني هذا الصلف والاعتداد واليقين، الذي لا يحرك الخيال لمسافة أبعد مما نراه في السماء، ويجعله يدور في خيال السلف. لا تجذبني

الأشكال المكتملة، وأرى الهلال أكثر جمالا وبهجة، أريد أن أشبه الهلال، وأن أوصف به.

أذهب إلى نفس المكان كل يوم، وأعرف أنك، أيضًا، تذهب يوميًا إلى نفس المكان، لكننا لم نلتقِ قط. اليوم قررت أن ألتقي بك، ادعيت أنها رغبة في تحطيم الأساطير، أن أطيح بكائن الصدفة بعرض الحائط، ولا أترك أحدًا يتحكم في قصتي، أنا وحدي مَن أكتبها، ربما الأمر لم يكن يمثل تحديًا، أو تحطيمًا لأفكار كان الأمر ببساطة عبارتي الطفولية، كنت أريد رؤيتك وفقط.

كأني أؤدي مهمة، عبرت هذا الممر وألقيت نظرة جانبية نحوك، نظرة لم تمتد لأكثر من ثانية، رأيتك تنظر تجاهي بعينين مفتوحتين بدهشة، كأنك تتعجب من وجودي على قيد الحياة، أو كأنك كنت تنتظر مروري منذ أيام، عينان مفتوحتان على اتساعهما، عبرت أمامهما نظرتي الجانبية، وعبرت مسرعة أنا أيضًا. كنت غبية كعادتي معك، لماذا لم أستدر وأحملق في عينيك مباشرة! أتوغل في ضيقهما، أقرأ الأسرار التي تخفيها. كنت خائفة مثلك.

خرجت من الممر ليواجهني البدر العملاق، كان حزينًا وداميًا. غلالة برتقالية تخفي بياضه المعهود. كان مختنقًا بغبائه، مثلي، لكنني عدت إليك في اليوم التالي. لم يكن هناك أثر للقمر البرتقالي سوى لونه الذي عاد إلى الشمس الساطعة. مررت أمامك مرة

أخرى كنت تجلس مرتاحًا على كرسيك، حتى رأيتني فاتجه جسدك نحوي بسرعة كأنه يدعوني. أشرت إليّ فأشرت إليك وأكملت طريقي، كأني مجرد عابر سبيل يحيي المارة، ممثل فاشل على المسرح يحيي الجماهير، كأنني لم أمر من هنا من أجلك. كنت في واقع الأمر خائفة، أنت لا ترد على رسائلي، فكيف ستعاملني إذا توجهت إليك، وما الذي من المفترض أن أفعله! لكنني عدت من جديد كأنني لعبة ماريونيت. كنت لطيفًا، وكنت غبية كعادتي، لم أكن غبية بقدر ما كنت، أيضًا، ممثلا فاشلا، كنا نتبادل الأدوار، كنت غبية وكنت ممثلا فاشلا، كنت ممثلة فاشلة وكنت غبيًا، كنت مريضة وكنت خائفًا، كنت خائفة وكنت مريضًا، وكنا تائهين معًا، نثرثر في أي كلام لا يجدي، نثرثر في أي شيء لا علاقة له بسبب مروري من هذا الممر ولا بسببِ دعوتك لي، ولا يفسر كل ما تفعله معي منذ شهرين. لم يكن طبيعيًا أن يكون هذا اللقاء بعد رسالتي الأخيرة، تلك الرسالة التي كلما تهورت وفتحت الرسائل بيني وبينك لمراسلتك من جديد، واجهتني عبارة: "التجاهل مؤذي أكثر من الرفض". كانت الشمس ساطعة تمامًا، ساطعة إلى حد الألم. ما زلت أمسك السكين وأواصل اللعب في الجراح النازفة، كأنه لا يكفي ما يغطي جلدي من دماء، كأني أختبر إمكانية أن أكون مازوخية مثالية لساديّ محترف.

12

لم أدرك أنها النهاية حين ألقيت عليّ هذه النظرة.

كنت تراقبني أثناء نزولي السلم، حين نظرت إلى أعلى وجدتك تلتفت إلى الاتجاه الآخر وفي عينيك تلك النظرة التي لاحقتني بها، خليط بين الدهشة والغضب والخوف، نظرة مَن يندم عما باح به. كان البوح هو النهاية، في هذا اللقاء، حين ظللت على مدى ساعتين تحكي عن نفسك، عن طفولتك، وشبابك، أسرتك، وأصدقائك. لمحت لهذا الشيء الذي عذبك وغير نظرتك للعالم، لكنني لم أطالبك بالتفاصيل. كنت أجلس صامتة تقريبًا طوال الساعتين. أخاف أن أظهر أية إشارة تكشف أكثر هذا الحب الذي تدفق فجاة نحوك، يكفيني ما حدث في أول لقاء، كنت صفحة مفتوحة أمامك، بدوت كمراهقة متعلقة بك، أردت أن أبدو في هذا اليوم أكثر ذكاء، فأصابني الخرس، وأطلقت

أنت الزمام لأفكارك ومشاعرك، على عكس طبيعتك، كلما تذكرت هذا اليوم، يتغير المكان، لأجدك تجلس في عيادة طبيبي النفسي. كنت جالسة في مقعد الطبيب، وكنت أنت تجلس على الكرسي المواجه. لا يوجد شيزلونج كما في الأفلام القديمة، بل أن علاقتك بالطبيب تنتهي دائمًا حين تجلس على الكنبة ويترك هو موقعه خلف مكتبه ويجلس بجوارك، حين تنتهي من حكاياتك وتنتظر دوره في الحكي، كأنكما غريبان يعرفان أكثر مما ينبغي عن بعضهما البعض، لذلك حين تغادر هذا المكان لن تعود مرة أخرى.

منذ سنوات بعيدة، كنت أتردد على عيادة هذا الطبيب الشاب، بعد جلستين شخص حالتي بأعراض اكتئاب وقلق، وكنت أتعاطى أدوية للاكتئاب والقلق والتوتر ومنومًا لمدة ثلاثة شهور، تحت إشرافه، وجلسات أسبوعية، لم أكن أعرف أهميتها آنذاك، ما أهمية أن أجلس أمام غريب لأحكي عن نفسي وأنا لديّ أصدقاء مقربون كما أنني أمتهن الكتابة؟! كنت أحيانًا أحكي قصصًا خيالية لم تحدث أبدًا، وأحيانًا أخرى أحكي عن أشياء لم أعتقد من قبل أن لها أهمية. لم يكن يعلق كثيرًا بل كان، فقط يلقي جملة أو سؤالا من وقت لآخر، وكنت دائمًا أعلق على ما يقوله مستنتجة سبب هذا السؤال أو الجملة التي يحاول إلقاءها بشكل عرضي. لم أعطه الفرصة أبدًا لمفاجأتي، ولم أرغب في تكرار العلاج لأكثر من كورس علاجي واحد، قال لي طبيبي إنه من الصعب متابعة حالة كاتب. كنت بالفعل

اراقبه مثلما يراقبني. أدون ملاحظات عنه بعد انتهاء الجلسة، مثلما كان يدون ملاحظاته في الجلسة، بل ألاحظ شحوب وجهه أو توتره أو تغيرًا ما طرأ عليه فأعلق ويبدأ طبيبي في الحكي عن نفسه بود، في الزيارة الأخيرة سألته بشكل مباشر إذا كان هناك داعٍ للاستمرار واخبرته أنني اصبحت أشعر أنني أجلس مع صديق على المقهى، ولا أجد جديدًا في تلك الجلسات، ترك موقعه خلف المكتب وجلس على الكنبة المواجهة، وقال إن هذا الأمر لا يمكن أن يحدده أحد غيري، وأنه يمكنني بالطبع عدم تكرار النظام الدوائي طالما لا اريد ذلك فقد تحسنت حالتي فلا خطر من ذلك. جلست بجواره وقلت له بشكل مباشر إنني لن أعاود الذهاب إلى طبيب نفسي مرة أخرى، ابتسم وهو يقول: هذا اختيارك وأنا لا أجد أن حالتك تستدعي إقناعك بالاستمرار، تستطيعين العودة وقتما تشائين.

هل يمكن أن أخبرك الآن أنني بالفعل استفدت من تجربتي معه! وأن زاوية رؤيتي للأمور قد اختلفت كثيرًا، كأنني تعلمت لغة جديدة وبدأت في التفكير بها، بل إن في كل مرة أقع في حفرة ما ألجأ لفكرة زاوية النظر تلك، ولن أشفى منك إلا لو نظرت بطريقة أخرى إلى حكايتنا، لذلك أكتب، ولذلك أجد أن نظرتك على السلم تشبه نظرتي لطبيبي النفسي في آخر يوم زرته فيه، هل تعتبر ما أقوله مجرد أسطورة أخرى؟ إذن سأحدثك رغم ذلك عن آخر أساطيري.

كنت أظن أنني حطمته وانتصرت عليه لكن كل ما حدث أنني هادنته، هذا الوحش لم يتركني وكان يطل عليّ من وقت لآخر، أعرف أن لديك وحوشك أيضًا، رأيت أحدهم في عينيك، ورأيت آخر يطل عليّ من صمت المحادثات الإلكترونية بيننا، وسأروي لك الآن عن وحشي الذي رافقني منذ الطفولة، من غرفتي في البيت القديم إلى كهفه، حيث أغلقت عليه باب مغارته، حتى أن يمامتين عششتا على الباب. لم يكن نائمًا، كان راضيًا وقابلا بالهدنة، فدخلت بيتي آمنة، ووحيدة. سأقص عليك يومًا قصته منذ بدايتها، من كابوس طبيب الأسنان وحتى كيس القمامة الأسود الذي لم أعد أخاف أن أفتح الباب وأعلقه في مسمار بجوار باب البيت.

13

يسحب سمير أنفاسًا من الشيشة ويطلقها في الفراغ. يصنع الدخان أشكالا أرقبها، وأملأ صدري برائحة التفاح، أحيانًا يطلب سمير شيشة التفاح من أجلي. يعرف أنني أدخن الشيشة سلبيًا معه، وأنني أحب رائحة دخان التفاح.

- الحكاية منتهية منذ بدايتها كل الأمر أنك كنت تحتاجين إلى نهاية لكل قصصك السابقة المعلقة. تبحثين عن نهاية لقصة تكتبينها.

- يبدو أنني في غاية التفاهة من وجهة نظرك.

- بالعكس، أنت تحتاجين لبعض التفاهة يا عزيزتي. تحتاجين للتوقف عن البحث عن العمق. أنك مثل مَن يعيش في حياة ويتركها بما فيها بحثًا عن مصائر الشخوص في حياة موازية. أننا وفقًا لتلك

الفلسفات لا نعيش نفس الحياة، فإما أن تكوني هنا، أو في الحياة الموازية.

- أنــا أبحث عن الوضوح، عن حيــاة لا يكتنفها الغموض، عن قصص تنتهي نهايات مفهومة، عن مشاعر حقيقية وناس تعبر عن نفسها بحساسية.

- سوف تتعجبين حين أقول لك ذلك، لكن أحيانًا الصراحة مملة، بــل إنني أزيدك قولا الصراحة ليست هي الحقيقة دائمًا. في قصتك قــد يبدو الأمر أن هنــاك روايتين لشــخصين مختلفين في طريقة التفكير، لكن الحقيقة أن كلا منكما لديه ثلاث روايات، رواية معلنة ورواية سرية تخصه ولا يملك البــوح بكل تفاصيلها، ورواية في أعماقه هو نفسه غير ملم بكل تفاصيلها. بشكل أو بآخر أنت، أيضًا، لست بالوضوح الذي تدعينه.

- الحكاية انتهــت وكفى، فلنعتبر أنه لم تكــن هناك حكاية من الأساس. أنا مجرد مهووسة نسجت قصة من لا شيء. حكايتي هذه المرة لا تشبه غيرها، لكنني لن أتوقف عندها.

- ربما كل الحكايات تتشــابه، لكن موقعنا من الحكاية يختلف، تفاصيلنــا تختلــف، بالتالي النهايات تختلف، وفــي كل مرة نحن، أيضًا، نختلف.

- كل هذا من تأثير شيشة تفاح يا سمير، أم من تأثير الرقص؟

اهتز جسد سمير مــن جديد، ربما لا يتوقف عن الاهتزاز أبدًا، فصاحبه لا يتوقف عن الضحك.

كنا قد انتهينا من الرقص ساعــات متواصلة في زفاف صديق مشترك، قفزنا بين الأصدقاء على إيقاع موسيقى مهرجانات تنبعث مــن دي جي، "الأرض ساعي بريد أعمى يا سمير" أقولها بصوت مرتفــع ومع هذا يضيع صوتي بين الصخب. غادرنا قاعة الأفراح بعد تهنئة صديقنا. تسابقنا في الشوارع كالمجانين كأننا عدنا عشرين عامًا للوراء. شــوارع وسط البلد في الثانيــة صباحًا جميلة، كأنها تعتــذر عن قبحها الصباحي، وتتزين من أجلنا. ندب على الأسفلت ونترنم بأغانينا. تتداخل أغاني المهرجانات مع أغاني الست وأغاني فرنسية يدندن بها سميــر، حتى وجدنا مقهى مفتوحًا ما زال يعمل في هذا الوقت. كنا عشرة أشخاص يكاد لا يسمع أحدهم الآخر، لكن سميرًا كان يطير دخان تفاحه، حيث يمكنني استنشاقه، وأعدت على مسامعه ما كنت أقوله بين الصخب:

- الأرض ساعي بريد أعمــى. بالأمس كنت أمارس رياضتي المفضلة، ما يشبه اليوجا، ما يشبه التأمل، أنام على الأرض وأتوحد بها، أكون جزءًا من نسيجها، وحين صرت جذور شــجرة تضرب في الأرض، تمنيت أن أوصل ما أشــعر به إلى الحبيب المجهول، الآن، كنت أتوغل أكثر في أرضي، وكنت مقتنعة أن مشــاعري قد

وصلت. صباح اليوم جاءتني صديقة في العمل لتقول لي إن زميلا لا أعرفه معجبا بي، وكان مصرًا أن تحدثني اليوم، قالت إنه مغرم ولهان يا سمير.

لم نكف عن الضحك وعيوننا تلمع، وكنا نغني، كل يدندن أغنيته الخاصــة. كانت الأصوات تتداخل، وكنت تقول إنك لا تريد العودة إلى مهجرك، وإنك تخطــط للعودة إلى أرض الوطن، كان التعبير مضحكًا لنا يا سمير، وماذا ستفعل في أرض الوطن؟! تقول إنك لا تستطيع إلقاء النكات بلغة أخرى، وإنك لا تستطيع تكوين صداقات جديدة ضاربة في الأرض بهذا العمق، وأن ابنتك تبكي منذ عرفت بنوايــاك، فهي تستطيع إلقاء النكات بلغتين غير العربية، وليس لها أصدقاء فــي أرض الوطن، إذًا فهي ليست أرض وطنها يا سمير! كان الجميــع يحاولون إثناءك عن قرارك ويلقبونك بالمجنون بينما ظللت صامتة؛ عرفــت يومها أن الليل، أيضًا، ساعي بريد أعمى، وأن الصباح سيأتي وأنك سترحل.

الرسائل التي تنتظرها ستراوغك، الانتظار يتسلى بالوجع، المنتظرون أدوات للعب، لا تنتظر شيئًا، ولا تعد نفسك بما ليس لديك، لا تعلق ملابسك في مشجب الجيران، ولا تنام في بيت لا تملك مفاتيحه، لا تبث أمنياتك على الهواء مباشرة، الأرض ساعي بريد أعمى، وأنت بصير بخطواتك عليها أكثر من غيرك. المرتحلون دائمًا لا ينظرون

إلى الخلف، يديرون رؤوسهم حين يرغبون في رسم ابتسامة وداع، النظرات لا تعني شيئًا، الخطوة التي لم تخبرها بعد أصدق من تلك النجوم التي يخفت لمعانها، العرافة التي قالت إن هناك صيادًا يجلس على حافة بحيرة في انتظارك لم تكذب، العرافة فقط لم ترك وأنت ترحل نحو الضفة الأخرى وتعبر الصحاري في اتجاه البحر.

من أقوالك المأثورة: لا تنسي المفاتيح في قفل الباب من الخارج، ولا تتركي قلبك لعبة في يد ثومة.

عدت صباح اليوم إلى مهجرك يا سمير. احتضنتني وألقيت في أذني حكمتك ورحلت، سأفتقــد حضورك لكنني لن أفتقد أحاديثك، فبيننا العديد من وسائل التواصل والرسائل. لم تعد المسافات فاصلة خاصة حين تكون بيني وبين صديــق مثلك. لم أعد أترك المفاتيح فــي قفل الباب، ولست ممن يتركون قلوبهــم في يد أحد كما تعلم، لكنها كلمة ونظرة عين يا صديقي وسيذهبان إلى حال سبيلهما. لن نفتقــد حوارتنا معًا لكنني سأفتقد ضحكاتك حتى وإن كانت ساخرة. ابتسامتك المتعاطفة مع ما أقوله ورأسك الذي يتحرك لأعلى وأسفل تعبيــرًا عن التفهم. لا ترسل لي وجهًا يضحك، أو يبتسم. لا أصدق تلك المشــاعر المجمدة في أيقونــات، فلن أرسل لك وجهًا يبكي أو

قلبًا مكسورًا، سأرسل لك فقط حكايات، ما أكتبه من قصص سيكون في صندوق بريدك الإلكتروني كل يوم، سنجتهد لنحدد الواقع من الخيال فيما أرسله، سنضرب كفًا بكف وأنت تراني أجعلك تمر بمواقف لم تحدث، أو أجعل غيرك يمر في موقف مررت أنت به، ستقول هذا ما يحدث حين تكون صديقتك كاتبة، وتهددني برفع قضية إذا شهرت بك ثم ترسل وجهًا شيطانيًا، ووجهًا آخر يبكي من كثرة الضحك.

14

يقولون دبور وزن على خراب عشـــه، وأية حشـــرة تسول لها نفسها التسلل إلى بيتي فمصيرها الموت ولأهلها الخراب.

أمنت المكان تمامًا من خطر جيوش الحشـــرات الزاحفة، وكنت أغلــق كل الأنوار حيــن أفتح الباب أو الشـــبابيك خوفًا من دخول الحشرات الطائرة، تجهيزات كاملة وخطط لا تحتمل أي خطأ حتى هاجمنـــي أول دبــور، ربما كان ذلك في أول يـــوم الحظ أن نبات البوتس قد صار جثة! لقد كانا دبورين متداخلين معًا. لا أعرف هل هما حبيبان وجدا في لمبة الصالة النيون عشًا سعيدًا لحبهما، أم أنها أم تهدهد طفلها كي ينام، على كل الأحوال لم يكن تعنيني هويتهما، وإن جعلتني تلك الخواطـــر أتأنى قليلا قبل استخدام المبيد، وأغلق كل اللمبات الكهربائية، وأفتح الشـــبابيك، علهما يرحلان في سلام،

لكنهما أبدًا لم يبرحا مكانهما، وظلا يطلقان نحيبهما "زننننننننننن" هي الحرب إذًا! وفــي ثوانٍ اتخذت قراري ووضعت خطتي، كان علــيّ في البداية العثور على ذخيرتي الحيــة، أين وضعتها؟! هل كانت فــوق الثلاجة أم على رخامة الغسالة؟ وكان عليّ البحث في الظلام حتى لا يبرح العدو مكانه ويتجه إلى مكان آخر.

كانت جثتاهما على أرضية الغرفة حين أدرت المفتاح الكهربائي، تبدو هشــة وضعيفة، إلى حد عجائبي، ألــم يكونا منذ قليل كبيرين ومخيفيــن! هل أرواحهما كانت بهذا الثقل؟! لم يشــغلني الأمر إلى هذا الحد في الأيام التالية، التي كان يظهر فيها كل يوم دبور آخر، كأنهم يأتون للبحث عن أصدقائهم. لم تثنني فكرة أنهم قادمون لنقل جثمان ذويهــم إلى مكان آخر عن قتلهم، وبأقــل قدر من التفكير. كل يوم كنــت أتحول مثلهم إلى كائن آخــر، لكنه أكثر ثقلا، كنت أتحول إلى قاتل محترف لا ترمش عيناه كلما سمع الصوت المقيت: زننننننننننن، حتى صار هناك ست جثث بستة أحجام مختلفة.

تأمل البواب الجثث المتناثرة على أرضية الغرفة قبل أن يعلن بلهجة واثقة: دي مش دبابير دا نحل.

نظرت له أنا وزوجته في شــك، نحل! كنت أمسك عبوة المبيد الفارغة وأفكر في شراء عبوة جديدة لكن الآن الموقف اختلف، أنا

قاتلـــة النحل الطيب، الدبور، الذي لا تؤذي قرصته إلا المصابين بالحساسيـــة من لسعاته. دماء أكثر من ثلاثين نحلة على يدي، خلية نحل منظمة ستخسر أيادٍ عاملة بسببي. الخلية لن تتوقف عن العمل لكنهـــا ستحتاج لتعديل في نظامها حتى تتعامل مع تناقص الأعداد. إنتاج العسل سيقل هذا العام. أفكار مضحكة تتراص بجوار بعضها البعض في راسي، وأنا أبحث على جوجل عن وسائل مقاومة النحل، وأماكن تواجد خلاياه، وأسباب بنائه للخلية في مكان بعينه. هل يمكن أن تكون خليته في الغرفة المغلقة؟

لمـــاذا لا أتركه يتكاثر من حولي ويمـــلأ الصالة الملونة؟ يطير فوق الستائر البرتقاليـــة. ينام على الكنبة الخضراء. يعلمني النظام والعمل، قد أتمم الخطط والمشاريع التي لا تنتهي. تذكرت مسلسل الكارتـــون القديم النحلة "زينة"، ولم تمنعنـــي كل تلك التصورات الملونة من البحث عن وسائل التخلص منه، وتحمل تأنيب الضمير، الآن أصبح عدوي كائنًا لطيفًا، ليس دبورًا مزعجًا يستحق القتل، أنا الآن قاتلة الجمال والنظام والعمل، أضحك، وأكمل البحث، أصور جثة وأرسلها لصديقة فتؤكد لي أنه دبور من فصيلة تشـــبه النحل. يستريح ضميري، وأبدأ في البحث عن فصيلة الدبور الأصفر الذي يهاجم خلايا النحل الطيب ويزعج أصحاب المناحل، ها هو عدوي قد عاد للصورة الذهنية المفضلة؛ شرير يستحق القتل.

15

عادت أظافري ضعيفة كما كانت، فعدت إلى قضمها من جديد. أتخلـص من زوائدها حتى أصل إلى الجلـد واللحم. أفرغ توتري فيها. انتبه إلى أنني أشـوه أصابعي فأحاول التركيز مع الكتابة، مع ملامسة الأصابع المسكينة لأزرار الكيبورد، حتى لا أدمر ما بنيته. نعم، فلقد عملت على تجميلها منذ أشهر، وأصلحت ما كنت أفسدته عبر سنوات بالطريقة نفسها، وها أنا أعود إلى تشويهها من جديد. جميل أن تكون إلهًا لنفسك. تدمر ثم تعيد تشكيل ما دمرته. أتعرف أنك ترتبط في ذهني بألوان طـلاء الأظافر؟ بملمس الليمون على جلدي ورائحته التي اختزنتها مسامي؟ كنت أدعك الليمون كل ليلة بأصابعي وأفركه على جلدي. أقربه من أنفي واشـمه كأنني أشـم زهـور ذات رائحة نفاذة. رائحة الليمون ليست نفاذة ولن يشـمها

إلا من يقترب من جلدي، لن يشـــمها إلاي. جلد أمي يحتفظ برائحة اخرى، ملتصقة بها طــوال الوقت. لم أكن أحب تلك الرائحة، ولم أكن أقترب من جلدها كثيــرًا، فلم يكن الاحتضان فعلًا يوميًا، فهو ليس من عادات أمي، وكنت أخجل أن أبادر أنا باحتضانها. بعد أن غادرتها وصرت أزورها كغريبة. أصبحت دعابتي لها هي تدريبها على الحضن فأقول لهــا: "لفي دراعك حواليا، أيوه كدا"، تضحك كطفلـــة بلا أسنان، وتقول: "هو إيه دا!" أكمل تدريبي لها وأضحك بدوري: "حضنك حلو قوي على فكرة".

لم أعد أنفــر من رائحة جلد أمي. إنها رائحـــة الحليب، فأنا لم أرضـــع من ثدييها حين ولـــدت. فلم يكن لبنهـــا يكفيني، الآن فقط عرفت أن الطبيعة بلا نقصان يشوبها. فقط قد تخطئ الحسابات في المكان أو الزمن. الحليب كان في جسد أمي لكنه تسرب من ثدييها إلى جلدها فاختزن جلدها رائحة حليبي. الأشـــياء التي لا تحدث لا تنتهي. تبقى رائحتها تحت جلودنا. أشـــعر، أحيانًا، أن الذنوب التي لم تقترف تلوث قلوبنا، هل أغالي؟! فلنقل إن الأوجاع التي لا يعبر عنها تلـــوث دمائنا، هذا أوقع، فلنقل إن البوح ينهي الحكايات بينما الأسرار تزيدها بؤسًا. الغموض يطيل عمر الحكاية وأنا لا أضمن الحياة ليوم واحد آخر لذلك فلن أحاكي ألف ليلة وليلة.

فـــي يوم ما، كنت أجـــرب حمامًا بلديًا في حي شـــعبي، معظم

المترددات عاريات تمامًا، وكنت أرتدي بكيني حتى لا أتعرى مثلهن أمام الغربيات. كانت صديقتي تبدي إعجابها بالبكيني الأزرق وتسألني لمــاذا لا أرتديه على البحر؟! أجبتها بــأن جسدي لا يناسبه ارتداء مايوه من قطعتين فأجسادنا الشرقية باستداراتها مهما كنا نحيفات لا تليق به، تعجبت صديقتي وقالت إن البكيني يليق بنحافتي، لم أخبر صديقتي أنني أخجل من جسدي ومن جسدها ومن الأجساد العارية حولي، حتى أن عيني تتردد في التطلع إلى الأجساد أو غض الطرف عنها، آخر اليوم اعتادت عيناي على العري، كنت منشغلة بملمس الماء الساخن، كثافة البخار، ملمس الليفة المغربي وسيدة بدينة عفية تدلك خلًا مخلوطًا ببودرة كعب الغزال على جسدي، يطغى الأحمر على رائحة الخل الذي تضعه المدلكة في الليفة المغربية الخشــنة، لتزيل مــا علق بالجلد من أوساخ. علق اللون في ذاكرتي أكثر من تلك الرائحة اللاذعة.

لمحت تلك الطفلــة العارية. جسدها جسد طفلة لم تتعدَ الخامسة عشر. تقف شاردة في انتظار توجيهات أمها، تقول المكيسة البدينة إنها عروسة في التاسعة عشر من عمرها. بدت بائسة لا تعرف ماذا تفعل بنفسها في هذا المكان، استلقت بجواري وجاءت سيدة أخرى لتقــوم بإعداد جسد العروس، دلكته وفرشــت فوقه ماسك الترمس والزبادي، رائحة الحليب كانت تناوش أنفي، فتشعرني بألفة. تقابلنا عند الدش، كانت أمها ترغي قطعة من الصابون على جسدها حين

عرضت عليها غسولا للجسـد بالليمون، أدارت الفتاة عينيها بيني وبين أمها، قربت الأم العبوة من أنفها ثم شكرتني، وأخذت منها في ليفة خشـنة في يدها وأعملت الرغوة على جلد ابنتها بسعادة بالغة، وامتنان لاحتفائي بطفلتها.

كنت أستعد لارتداء ملابسي حين لمحت العروس الطفلة تجلس علـى الأرض تكور جسدها العاري وتقرب كفها من أنفها، تغمض عينيها وهي تشـم رائحة الليمـون، تقرب أنفها من كتفها وتواصل الاستمتاع برائحة التصقت بذاكرتها كما التصقت بذاكرتي، زوجة البواب تنظف الشـقة وأنا أشم رائحة شبيهة تطوف حولي، تقول أم فاطمة: إنه ملمع الخشب برائحة البرتقال التي تحبينها.

رائحـة الليمون، رائحة البرتقال، رائحة الحليب، رائحة الحياة. أتكـور على مقعدي أمام التليفزيون، بين يدي مج شـاي بالحليب، أوجه الريموت كنترول لأحـول التليفزيون إلى راديو، إنها الثالثة عصرًا وصوت أم كلثوم الآن سينافس تلك الروائح.

وقفت أمام فاترينة المشتل لأختار نباتي الجديد، قالت صديقتي إنه يمكنني وضع البوتس في الماء حتى يعيش فترة أطول، لكن نبات ظل ملونًا آخر أعجبني وكنت على وشك السؤال عن نوعه حين شاهدت الرجل العجوز خارجًا من باب المول المواجه، يسير ببطء ويداه متدليتان إلى جانبيه، ترتعشان وتهزان جسده، يبدو أن الفتاة التي تجلس في كرسي السائق هي ابنته التي حكي عنها. تعمل مدرسة، تستيقظ صباحًا لتلحق حصصها اليومية، وتظل طوال اليوم متنقلة من بيت لآخر ومن مركز لآخر، لإعطاء الدروس الخصوصية للطلبة، فينزل بعد أن تغادره، ويعود قبل موعد عودتها.

كنت أرقبه من موقعي في الكافيه بالدور الأخير بنفس المول، حيث كنت أجلس للكتابة أحيانًا في الصباح، قبل أن تكون لي صومعتي الخاصة، في يوم وجدته قبل صعودي إلى الكافيه، في مكانه بكامل أناقته كعادته، يستمع لأغنية ما عبر سماعات الأذن،

متأكدة أنها أغنية وليست رسالة من ابنته، لأنه كان يدندن بلحن ما لا أنكــره، ربما "أغدًا ألقاك"، جلست بجواره وابتسمت له، فابتسم لـــي ونزع السماعات عن أذنه، وتجانبنـــا الحديث، في الحقيقة لقد جاوبني على سؤالي قبل أن أسأله، ربما كان يراني حين أراقبه، أو أنه أعتاد اقتراب الناس منه وسؤاله.

اليوم، رآني وهو متجه إلى سيارة ابنته، لوح لي مبتسمًا فلوحت لهمـــا؛ له وللوحش الــذي رافقه من باب المــول حتى باب سيارة ابنته.

المؤلفة في سطور

سمر نور

صـــدر للكاتبة من قبـــل مجموعة قصصية وتشـــكيلية بعنوان "معـــراج" عن سلسلة إبداعات بالهيئة العامـــة لقصور الثقافة عام 2004، ومجموعـــة قصصيـــة بعنوان "بريـــق لا يحتمل" عن دار ملامح للنشـــر عام 2008، ورواية بعنـــوان "محلك سر" عن دار النسيم للنشـــر عام 2013، ومجموعة قصصيـــة بعنوان "في بيت مصاص دماء" عـــن الهيئة العامة للكتاب عام 2016، وشـــاركت بقصـــة "حفلة بينوكيو" في كتاب مختارات قصصية صدر بمناسبة ذكرى نجيـــب محفوظ عام 2012 بمشـــاركة مائة كاتب مصري، وسبق لها نشر قصة "أحزان فرح" في الكتاب الفضي الصادر عن نادى القصة بمناسبة حصول نفس القصة على جائزة نجيب محفوظ عام 1999، ونشـــرت قصصها في العديد مـــن الجرائد والمجلات المصرية والعربية مثل جريدة أخبار الأدب وجريدة الحياة اللندنية، ومجلة الدوحة وغيرها.

الأعمال الكامله

t.me/kotbhm

الست

"بدأ الشغف بالألوان غريبًا، وساحرًا. لم أكن أعرف أنه سيتحول إلى سلاح في يدي وأنا أواجه الوحش، مثله مثل صوت أم كلثوم الذي تسلل إلى بيتي الجديد خلسة، من نافذة غرفة النوم. كنت أهرب من عيني الوحش وألصق عيني في شاشة اللاب توب، حين باغتني صوتها وهي تجلجل في السكون: الله محبة، الخير محبة، النور محبة، يا الله! كيف لم أكن أنصت إلى هذا الصوت من قبل؟! كانت تكمل تلاوتها فتلين عيناه الذئبيتان. يتوه توحشهما في شك ما، نعم كان شكًا، هذا الذي دفعه للهروب. لم يخف الوحش. لم يحترق كشياطين الأفلام، إنه فقط تشكك في قدرته على محاصرتي. هرب من سكينتي المفاجئة، من غياب التحدي في عيني الهاربتين فوق شاشة اللاب توب".

في رواية "الست" تواجه الكاتبة الواقع متسلحة بالخيال، من خلال امرأة تستقل في بيت لأول مرة في حياتها لتجد نفسها وجهًا لوجه مع مخاوفها، تذهب إلى كهف الوحش لمواجهته وترويضه بجراة، ومن خلال هذه المواجهة تعاين الأحاسيس المكتومة عن كثب: الجسد في مسراته وخوفه، الحواس في تداخلاتها، الحب في لعبته المراوغة، البهجات الصغيرة، والتفاصيل اليومية، أيضا العلاقة مع الكون: النجوم، البحر، السماء، الألوان، الفنون في تشابكاتها بين الموسيقى واللوحة بين الشاشة والكلمة، كلها تتحد داخل جدران البيت، وفي قلب الست.

الغلاف: عمرو عبد العزيز

9 789774 904776

دار العين للنشر
Elain Publishing House